# إطار .. من التاريخ

«وأنت يا بيت لحم -أرض يهوذا-
لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن
منك يخرج مدبر ، يرعى شعبي
إسرائيل» (مت ٢ : ٦ )

obeikandl.com

obeikandl.com

## أرض :

حوض البحر المتوسط له قدم راسخة في التاريخ ..

فمن شماله وجنوبه أطلّت مدينة الإغريق ومدينة الفراعنة ، وفي شرقيه تحدثت الآثار عن الفينيقيين ، وأهل ميثاني ، والحيثيين ، والبابليين ، والأشوريين ، وسمعنا عن الكلدانيين ، والعبرانيين . ومن شماله وجنوبه تصارعت روما وقرطاجنة .. وهكذا تدافعت موجات البشر مع موجات البحر العتيد !!

وبلاد الشام من أقدم العصور معبر بين قارات العالم القديم : آسيا وأفريقيا وأوربا . وفلسطين [1] هضبة تعلوها سلسلة من الجبال ترتفع عن مستوى ساحل البحر المتوسط في الغرب ، وعن مستوى صحراء الشام في الشرق ، يخترقها نهر الأردن من الشمال إلى الجنوب ، ويتخلل أرضها كثير من السهول والوديان . وأظهر أقسامها :

(أ) **سهول** المنطقة المحصورة بين هضبة اليهودية judaea وساحل البحر المتوسط ، وهو الطريق التاريخي الذي سلكه غزاة فلسطين منذ القدم . والسهل الساحلي الذي يمتد في محاذاة الساحل الشرقي للبحر المتوسط من خليج الإسكندرية إلى سينا ضيق في الشمال والوسط ، ثم يأخذ في الاتساع جنوباً حتى يبلغ ٢٠ ميلاً عند غزّة . وسلسلة الجبال الممتدة على موازاة الساحل تنحدر نحو الجنوب وتنتهي دون فاصل إلى هضبة الجليل .

---

١ - التعريف الجغرافي مأخوذ بصفة أساسية من : دكتورة نجلاء عز الدين : العالم العربي ص ٢٢ - ٢٥ ، دكتور عبدالرحمن زكي : الشرق الأوسط من ١٥٩ ، ١٦٠.

(ب) **الهضبة الغربية** : وهي مجموعة سلسلة تلال يطلق عليها تلال اليهودية ، وتتميز بانحدار خفيف من الجهة الغربية وشديد من جهته الشرقية ، ويخرج كثير من التلال العمودية عليها وتتجه شرقاً وغرباً . ويفصل مرج ابن عامر الجليل عن هضبة اليهودية التي تندمج في النقب . وتنحدر الهضبة في شرق الأردن شرقاً وجنوباً حتى تندمج في بادية الشام .

(ج) **وادي** نهر الأردن والبحر الميت ، وهذا الوادي خندق جيولوجي عظيم (أخدود) يمتد من آسيا الصغرى (تركيا) إلى خليج العقبة ، ووسطه يضم وادي البقاع بين سلسلتي جبال لبنان ولبنان الشرقي ، ويستمر الخندق جنوباً حتى يبلغ أقصى انخفاضه في حوض الأردن وهو أعمق منخفض برِّي في العالم . وبين بحيرة طبرية والبحر الميت يوجد (الغور) ، وهي كلها تحت مستوى سطح البحر وتبلغ أعمق نقطة فيها ١٣٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر عند ساحل البحر الميت .

ومن هنا يأتي ذكر المياه والسفن والصيد في ثنايا الأناجيل «وإذا كان يسوع ماشياً **عند بحر الجليل** ، أبصر أخوين : سمعان الذي يقال له بطرس ، وأندراوس أخاه - يلقيان شبكة في البحر ، فإنهما كانا صيادين » (مت ٤ : ١٨ ، مر ١ : ١٦) .

«ولما رأى يسوع جموعاً كثيرة حوله ، أمره بالذهاب إلى **العبر (في يوحنا : عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية - ٦ : ١ )** ... ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة .. ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم ... ولما جاء على العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان ... وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى ، فالشياطين طلبوا إليه قائلين : إن كنت تخرجنا فائذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير ، فقال لهم :

امضوا ... وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه ، أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة ، وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين ، فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم ، فدخل السفينة واجتاز وجاء إلى مدينته » (مت ٨ : ١٨ - ٣٤ ، ٩ : ١ ، مر ٤ ، ٥ لو ٨ ، يو ٦).

«فانصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر ، وتبعه جمع كثير من الجليل ومن اليهودية ومن أورشليم ومن أدوميه ، ومن عبر الأردن والذين حول صور وصيداء، جمع كثير إذ سمعوا كم صنع أتوا إليه ، فقال لتلاميذه أن تلازمه سفينة صغيرة لسبب الجمع كي لا يزحموه » (مر ٣ : ٧ - ٩).

ونظراً لاختلاف تضاريس المنطقة فقد اختلف مناخها ، فالأمطار بين سبتمبر ومايو تغزر عند الساحل والجبال الغربية وتتناقص نحو الداخل ، وفي الوديان يعتدل المطر في جهات ويقل في أخرى . والطقس في الساحل تسري عليه قاعدة مناخ البحر المتوسط العتيدة التي تتناقلها شفاه تلاميذ المدارس منذ أجيال : فالصيف حار خال من المطر ، والشتاء معتدل ممطر ، وفي الجبال الشتاء بارد والصيف لطيف ، أما في الداخل فالمناخ قارّي ، شتاؤه بارد وصيفه حار ، مع ارتفاع المدى بين درجات حرارة الليل والنهار .

وبالنظر إلى الرياح الغربية (العكسية) التي تدفع السحاب الممطر أمامها يفهم قول المسيح «إذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب تقولون إنه يأتي مطر - فيكون هذا ، وإذا رأيتم ريح الجنوب تقولون هو حر - فيكون .... وأما هذا الزمان فلا تميزونه » (لو ١٢ : ٥٤ - ٥٦).

ونتيجة لتباين الطبيعة وتنوع المناخ تعدّد النبات ، ففي منخفض الأردن نبات غير نبات أعالي الجبال ، وفي الساحل تكثر زراعة الحمضيات والموز ، ومنحدرات

الجبال والتلال مدرجة تدريجاً متقناً ومزروعة بالخضر والفاكهة . وتزرع السهول الداخلية الحبوب ومنها ما حوّل لبساتين . لذا يضرب المسيح كثيراً من أمثاله حول الزراعة والحصاد ، والكروم والحبوب ويتكرر ذكر رعاة الخراف والخنازير ! وتنتشر زراعة الزيتون على سفوح الجبال وفي المنطقة الساحلية والسهول الداخلية كلها من جبال نابلس حتى منخفضات أعالي نهر العاصي ، وكانت سفوح الجبال قديماً مكتسية بالغابات حتى البحر وقد ذهبت كلها إلا بقايا صغيرة من صنوبر وأرز ، أما الموارد المعدنية فضئيلة في المنطقة ، عدا المواد الكيماوية في البحر الميت .

شهدت بلاد الشام صراعاً دامياً ، فقد كانت بحكم استراتيجيتها نقطة احتكاك القوى المتجاورة المتغالبة ، اصطدمت فيها مصر بميثاني وخيتا ، وبابل وآشور ، وتنازعت عندها مطامع إمبراطورية الشرق الفارسية وإمبراطورية الإسكندر الإغريقية . وعندما تقسّم قواد الإسكندر دولته تنافسوا وتحاربوا في أرضها ، وورثت روما إمبراطورية الإغريق وورثت عنها كفاحها مع الفرس ..

وهكذا شاء الله أن يخرج رسول السلام في أرض الزيتون وقد تخضبت بدماء الصراع الدولي والأهلي أيضاً .. «فمنذ غزوة الإسكندر لبلاد الشرق ، وقصة الصراع بين الشرق والغرب تمثل فصولاً طويلة في تاريخ القسم الشرقي من حوض البحر المتوسط ، حتى أن كرّ العصور ومر الأزمان لم يخفف من حدة النضال الذي عرك أوصال الطرفين .. وواجهت الصحراء الشامية روما وأباطرتها ، وهذه الصحراء لم تكن كما يتصور المرء امتداداً شاسعاً من رمال لا يمكن اجتيازها وفلاة موحشة مقفرة ، إذ على النقيض من ذلك لعبت هذه الصحراء دوراً هامًّا في حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب ، فقد اشتملت على بعض مسالك تجارية اخترقت بقاعها ذات الحصى والتي انتشر فيها بين هنا وهناك بعض الحشائش والنباتات . وقد أدرك القدامى طبيعة هذه الصحراء وقسموها أقساماً تساعدهم

على الإفادة من مالكها : فأطلق بطليموس على قسم منها اسم بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea نسبة إلى مدينة البتراء التي ازدهرت لمرور القوافل التجارية بها (Petra كلمة يونانية معناها الصخر) ، على حين سمي الجزء الأوسط والجنوبي الشرقي من الصحراء باسم بلاد العرب الصحراوية Arabia deserta ، أما الجزء الباقي من الصحراء الذي نال قسطاً كبيراً من التأثير الروماني فسماه سوريا»[1].

وهذه الديار – ديار الأنبياء ...

«جاء يوحنا المعمدان يكرز في بريَّة اليهودية ، قائلاً : توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات ، فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل : صوت صارخ في البريَّة أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة .. حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن «كل واد يمتلئ ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، وتصير المعوجات مستقيمة ، والشعاب طرقاً سهلة ، ويبصر كل بشر خلاص الله » (مت ٣ : ١-٥ ، مر١ : ٣-٥ ، لو ٣ : ٤-٦ ، يو ١ : ٢٣).

«ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل ، وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم ربولون ونفتاليم ، لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم » (مت ٤ : ١٢-١٥ ، مر١ : ١٦ أيضاً مر : ٤ ، ٥ ، لو ٨ ، يو ٦) .

وتابع المسيح طريق الهداة الرعاة في أرض فلسطين المباركة «فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (مت ٤ : ٢٥) .

---

١ – الدكتور إبراهيم العدوي : الأمويون والبيزنطيون ص ٢ ، ٣ .

## شعب:

«اليهود شعب عجيب : كانوا في السابق قبيلة صغيرة أو عدّة قبائل تسكن فلسطين ، ورد تاريخها في العهد القديم في التوراة ، وكانوا وما زالوا يظنون أنهم شعب الله المختار ، ويظهر أن هذا الظن قد جنى عليهم كثيراً فغزاهم الغزاة وأخضعوهم وأسروهم .

ويضم الأدب الإنجليزي أجمل القصائد وأروعها التي تصف عذابهم كما ورد في التوراة ، ولا بد أنها في أصلها العبري أجمل منها في ترجمتها ، وأورد مثلاً على ذلك هذه الأبيات من أحد المزامير :

«هناك على أنهار بابل جلسنا ... وبكينا عندما تذكرناك يا صهيون ...

وعلى أشجار الصفصاف علّقنا أعوادنا ... بعد أن طلب منا الذين سبونا أن نغني لهم أغنية من أغاني صهيون ...

كيف نغني أغنية الرب في أرض غريبة ؟؟ ....

شلت يميني إن نسيتك يا أورشليم ...

ليلتصق لساني بحلقي إن لم أذكرك يا أورشليم .... إن لم أفضلك على أعظم أفراحي ...

وأخيراً تفرّق هؤلاء اليهود في مختلف أنحاء العالم ، فلم يكن لهم بيت أو وطن ، وأينما حلّوا كانوا يعاملون معاملة الغرباء غير المرغوب فيهم ، فاضطروا أن يسكنوا في أماكن خاصة في المدن منفصلة عن باقي الأحياء حتى لا يدنّسوا بقية الناس ...

ومع ذلك فقد استطاع هذا الشعب أن يعيش ...

وهؤلاء الناس الذين يعيشون بلا بيت ولا وطن يحلمون دائماً بالقدس التي تتراءى لهم أحسن وأعظم مما هي في الحقيقة . يسمُّون القدس (صهيون) أو الأرض الموعودة ، ومنها كلمة (الصهيونية) التي تعني نداء الماضي للعودة إلى القدس »[1].

بهذه الكلمات المحكمة أوجز (نهرو) العظيم تاريخاً طويلاً لشعب قديم .. «...ولقد هيأ الرومان لليهود فرصة الانفراد بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط حين قضوا على الفينيقيين والبطالمة ، كما حاولوا عبثاً القضاء على السبيين - في اليمن - بغزوهم سنة ٢٤ ق.م . على أن الرومان لم يلبثوا أن فطنوا إلى استفحال نفوذ اليهود ، فوجهوا عنايتهم نحو التخلص منهم . ففي بداية القرن الأول الميلادي قضوا على مراكزهم التجارية ، وفي سنة ٧٠م خربوا معابدهم في القدس ، وأرغموهم على الجلاء والتفرّق في شعاب الأرض . ولم يقتصر اليهود - بعد أن طردهم الرومان - على الهجرة والاستيطان في شتى البلاد بل إنهم حاولوا أيضاً أن **يؤسسوا دولاً** على حساب غيرهم من الشعوب ففي القرن الأول الميلادي أقاموا تحت حماية الفرس دولة يهودية بين أرمينية فارس ، وفي العصر الإسلامي أسّسوا دولة يهودية في الحبشة ودولة أخرى في شمال البحر الأسود ، ومن هذه المحاولات تأسيس دولة لهم في سبأ في أرض اليمن في بداية القرن ٦ م ، ولقد جاء تأسيسهم لهذه الدولة بعد مرحلة طويلة من المنافسات الدينية والعنصرية والاقتصادية . وقد باءت بالفشل جميع المحاولات لتأسيس دولة يهودية على مدى التاريخ .

**حرص اليهود في هجرتهم بعد سنة ٧٠م على أن يتجهوا نحو الطرق العالمية فأخذوا يستقرون على طولها في مراكز يستطيعون فيها أن يتدخلوا في الإشراف على التبادل التجاري عليها .**

---

١ - نهرو : لمحات من تاريخ العالم (ترجمة بيروت) ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

ولقد كان من أهم مقاصدهم طرق القوافل العربية ، وأقاموا أولاً عند طرفها الشمالي في بطره (في الأردن) وكانت لها أهميتها من حيث التبادل التجاري العالمي . ثم أخذوا يرحلون جنوباً تحت الضغط الروماني فانبثوا في الواحات الواقعة على طول طريق القوافل الرئيسي ، فأقاموا في العلا وفي يثرب ، ونزح بعضهم نحو دولة سبأ في جنوب بلاد العرب .. غير أن الخطر الذي هدد النفوذ اليهودي جاء عن طريق المسيحية التي أخذ أتباعها يهاجرون من فلسطين فراراً من عسف الرومان ، وكان طريق القوافل العربية منفذاً طبيعيًا لهم ، وعن طريقه دخل بلاد العرب عدد من المسيحيين الذين تقدموا من الشام إلى الحجاز ومنها إلى اليمن »[1].

نزح اليهود إلى فلسطين فاستقروا فيها ، وتضخمت أحلامهم حولها «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن في حاران ، وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك ، وهلم إلى الأرض التي أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران ، ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها ، ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده ، ولم يكن له بعد ولد . و تكلم الله هكذا : أن يكون نسله متغرّباً في أرض غريبة ، فيستعبدوه ويسيئوا إليه أربعمائة سنة ، والأمة التي يستعبدون لها سأدينها أنا ، يقول الله : وبعد ذلك يخرجون ويعبدونني في هذا المكان» (أعمال ٧ : ٢-٧) .

وقد تعرّضت الشام لهجرات آرامية أتت من الشرق واستقرت حول دمشق وفي شمالي وشرقي الأردن ، كما وصلتها موجات من ناحية البحر المتوسط . أما بالنسبة للوضع الجنسي لليهود : «فإن التباين في المميزات الجثمانية للجماعات

---

١- دكتور حسن الباشا : المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام (المجلة : العدد ٩ السنة الأولى) .

اليهودية المختلفة تباين شديد ، لا في الصفات الظاهرية كلون البشرة والعين والشعر مثلاً ، بل يتجاوز هذا إلى شكل الشعر وصفات الأنف وأبعاد الرأس وما إلى ذلك . وعلى ذلك يقسم بعض الكتاب اليهود إلى مجموعتين رئيستين : **الأولى** اشكنازم Achkenasim ويمثلهم غالبية اليهود في أوربا ويتميزون بالوجه المستدير والأنف المحدّب القصير والعيون الرمادية الصغيرة ، **والثانية** : سفردزم Sephardism ويمثلهم يهود إقليم البحر المتوسط ويشبهون سلالات الإقليم : وجوه بيضاوية وأنوف ضيقة بارزة وشعر أسود وعيون تأخذ فتحتها شكل اللوزة . ومع ذلك فكل هذا لون من التبسيط للصورة الجنسية المعقدة لليهود الحاليين . **أما اليهود قبل فترة الانتشار التي بدأت عندما وضع البابليون أيديهم على أورشليم حوالي سنة ٥٨٦ق.م. فقد تكوّنوا نتيجة لموجات متعددة وصلت إلى فلسطين في فترات مختلفة وبطرق مختلفة وتحت زعامات مختلفة ، وإن كان بنو إسرائيل الذين يكونون العنصر الأساسي في اليهود الحاليين فيما يظهر قبائل بدوية أو نصف بدوية تتكلم اللغة السامية جاءت من الصحراء وسكنت أولاً على حافتها في جنوب العراق ، ثم تحركت إلى فلسطين** . وكانت تسكن فلسطين حوالي منتصف القرن ٢ ق.م جماعات متعددة : فإلى جانب الإسرائيليين ، كان يسكن العموريون إلى الشمال ، والكنعانيون في أرض كنعان ، وكذلك كان يعيش الفلسطينيون الذين انتشروا في شرق البحر المتوسط حوالي ١٢٠٠ ق.م آتين فيما يغلب من إقليم بحر إيجه ، هذا إلى جانب بعض القبائل والعناصر الحيثية ..».

ومن العلماء من لا يرى في اليهود أحد أنواع الجنس البشري التي دامت طويلاً ، إذ أنهم تغيروا في الأماكن المختلفة ، فشكل تركيب الرأس يحاول دائماً أن يلائم نفسه مع الظروف المحلية في البيئة التي يقطنونها ، وقد أكّد Baos بكل شدة أن شكل رأس المهاجرين اليهود في الولايات المتحدة يتغيّر ليطابق المقاييس الأمريكية حتى في أول جيل من المهاجرين !! ويقسم البعض اليهود نوعين : واحد قريب من النوع

العربي والثاني قريب من النوع المعروف بالأشوري Assyraid . وهذا تسليم بأن هذه الأنواع قد تغيّرت إلى حد ما عن طريق الشعوب التي تعيش بينها [1].

إلى هذا الشعب كانت رسالة المسيح ...

«يخرج مدبر يرعى شعب إسرائيل » «فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ٢ : ٦ ، ١٥ : ٢٤) ...

وقد التقى المسيح في طريقه بطوائف شتى يهودية وغير يهودية «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جدًّا »، وبتعبير إنجيل مرقس «وكانت المرأة أممية ، وفي جنسها فينيقية سورية» (مت ١٥ : ٢١-٢٢ ، مر ٧ : ١٤٦). وكان هناك أيضاً السامريون «ترك اليهودية ومضى أيضاً إلى الجليل وكان لابد أن يجتاز السامرة ، فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء ، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب .. فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية ، لأن اليهود لايعاملون السامريين» (لو ٤ : ٣-٩).

وفي داخل اليهود كانت طوائف ، فقد «كان العالم اليهودي في العصر الذي ولد فيه السيد المسيح يشتمل على طوائف مختلفة ، لكل منها مذهبه في انتظار المسيح المخلّص الموعود ..

**فالصدوقيون هم** في دعواهم أتباع (صدوق) وأسرته ، الذين تواتر الروايات بأنهم كانوا يتولون الكهانة في عهد داود وسليمان . وكانت طائفتهم مهتمة بمراكز أصحابها ، لأنهم على الجملة أنصار المحافظة والاستقرار وأصحاب الوجاهة

---

١ - دكتور عباس عمار: شعوب الأقطار العربية الآسيوية. Buxton: Peoples of Asia (The Near East)

والثراء ، وقد كانوا متشدّدين في إنكار البدع والتفسيرات متشبّثين بالقديم يؤيدون سلطان الهيكل والكهان ويقبلون أقدم الكتب التي احتوتها التوراة ويرفضون ما عداها ولاسيما المأثورات المنقولة بالسماع . وتدعوهم المحافظة على النظام القائم إلى مسلك يناقض عقيدتهم فيما هو ظاهر من لوازمها ، فقد كانوا أقرب اليهود إلى الأخذ بالحضارة اليونانية وعادات المعيشة في البيئات الرومانية ، لكنهم يحافظون على نظام المجتمع لأنهم أصحاب اليد الطولى عليه ويملي لهم أنهم يؤمنون بأن الكتب اليهودية الأولى لاتذكر البعث ولا اليوم الآخر . وخلاصة الآداب الصدوقية أنهم **حرفيون في مسائل الدين ، متوسّعون في مسائل المعيشة ، وأنهم يعاشرون الأجانب ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم ، لأن أعمالهم ومراكزهم متصلة بذوي السلطان .**

وتقابل الصدوقيين طائفة **الفريسيين** - أقوى بكثرة العدد وشيوع المبادئ وحسن السمعة بين سواد الشعب وعلية القوم الذين لا يخالطون الأجانب ، وإن لم يكن بين أفرادها كثيرون في مرتبة الرؤساء والوجهاء ، واسم الفريسيين مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة (الفرز) العربية في لفظها ومعناها ، وفهم المفروزون أو المتميِّزون ... لهذا كانت تلازمهم في بعض الأحيان صفات الادعاء والتعالي ، على أنهم كانوا يقابلون بهذه الكبرياء كبرياء الوجاهة والثروة التي كانوا يستنكرونها على خصومهم الصدوقيين ، وكانوا يثورون على السلطان (الرسمي) حيث كان : في الهيكل أو في المراجع الأجنبية ، **فكانوا ينكرون على الكهان استبدادهم بالشعائر والمراسم ، وينكرون في الوقت نفسه عادات الأجانب والمتشبهين بهم محاكاة للحكام والمتسلِّطين . إلا أن الغالب عليهم أنهم أقرب إلى التصرّف والقياس** ، أو أقرب إلى تحكيم العقل في مسائل النصوص والتقاليد ... يفضّلون - على عكس الصدوقيين - الدية والمسامحة على القصاص ، وكانوا أقرب على الروحانية والآداب النظرية أو آداب التأمّل والتفكير ، فسبقوا مراحل إلى انتظار

المسيح المخلص في عالم الروح غير مقيّد بشروط الصولة والصولجان . فهم (الديمقراطيون) إذا وصف الصدوقيون على الإجمال بأنهم طبقة (الأرستقراطيين) . وقد جاء عصر الميلاد وهم ينقسمون إلى فريقين : فريق منهما يتبع الحكيم (هلل) الذي قدم إلى فلسطين من بابل - وهو الفريق السمح الودود في معاملة الأجانب ، والفريق الآخر يتبع الحكيم (شماي) - وهو أقرب إلى التحرّج والتضييق وردّ الراغبين في دخول الدين من غير اليهود ...

والطائفة الثالثة التي تقلّ عن هاتين الطائفتين في العدد كثيراً وتساويها أو تزيد عليها في القوة والأثر هي طائفة **الآسين** أو الآسيين ، والراجح أن الاسم مأخوذ من كلمة (آسي) بمعنى الطبيب أو النطاسي من الآرامية وهي تفيد هذا المعنى في العربية التي تعد الآرامية أقرب اللغات السامية إليها ، ومن المعقول أن يتسمّى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد كما يدّعون العلم بخصائص العقاقير . ومصدر قوتهم صراحة العقيدة وتنظيم الخطة ، وقد تكون دلالتهم أعظم من قوتهم لأنهم طائفة من صميم الأمة الإسرائيلية قد استقلّت بشعائرها وعباداتها وآرائها وأسرارها وأوشكت أن تستقل عن (الهيكل) كله لولا القرابين ، ولكنها بين مع هذا تنكر ذبح الحيوان ولا تقرّب القرابين من غير النبات ... وقد نشأت الطائفة على الأغلب بالإسكندرية في القرن ٢ ق.م ، واقتبست من المدارس الإسكندرية كثيراً من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية .. كان حراماً عند أبناء هذه النحلة أن يملك أحدهم ثوبين أو زوجين من النعال أو يدخر الأمتعة والأقوات ، وكانت الرهبانية غالبة عليهم إلا من أذن له بالزواج فيعفى من قيود النسك والتبولة ... والمادة عندهم مصدر الشر كله والسرور بها سرور بالدنس ، وكان يغلب عليهم من أجل هذا وجوم الصمت والندم ، وكلّ ما يباح لهم من السرور فهو سرور الروح بالعبادة والرياضة والقنوت ، وكانوا يتآخون ويصطحبون اثنين اثنين في

رحلاتهم... وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلّص ، معتقدون أن الخلاص بعث روحاني يهدي الشعب إلى حياة الاستقامة والصلاح ، ورائدهم في طلب الرضا من الله هو النبي عاموس الذي كان يُعلّم الشعب أن التقرب إلى الله بالعدل والرحمة خير من التقرب إليه بالذبائح والهدايا . ولايبعد أن يكون الغلاء أو الجليليون أتباع يهوذا الجليلي فرقة متطرفة من فرق الآسين .

والطائفة السامرية خليط من اليهود والأشوريين كانوا يقيمون في مملكة إسرائيل القديمة ، يقال إنهم قبائل أشورية أرسلها ملوك بابل إلى فلسطين ليسكنوها في أماكن القبائل اليهودية التي بقيت إلى ما بين النهرين وسُميت من أجل ذلك بسبايا بابل ، ويقال إنهم اختلطوا باليهود الذين بقوا في بلادهم ولم تحملهم الدولة البابلية إلى بلادها مع القبائل المسبيّة ، فوقع من هذا الاختلاط في السكن والنسب اختلاط في العادات والعبادات ، وعاد اليهود الذين رجعوا من السبي بعد سقوط بابل فأنكروا من السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الأوثان ، ورفضوا مشاركتهم في بناء الهيكل الجديد . فعمد السامريون إلى بناء هيكل خاص لهم في جرزيم ، وجعلوا يتعمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس ويحصروا القبلة في هيكلهم - وقد بقى منافساً لهيكل بيت المقدس زهاء ٢٠٠سنة حتى هدمه رئيس كهان بيت المقدس (حنا هيركانوس) قبل الميلاد بأكثر من ١٠٠سنة ، ولكنهم أعادوا بناءه وظل قائماً حتى هدمه الرومان بعد ثورة السامريين في القرن ٥ للميلاد .. ولاتزال بقايا السامريين تحتفظ بتقاليدها وتعتمد على نسخة التوراة المكتوبة بلغتها . ومن المحقق أن هؤلاء السامريين كان لهم شأن في تطور الفكرة المسيحية أو فكرة الخلاص المنتظر ، ويرجع شأنهم هذا إلى النزاع القديم بين مملكة يهوذا في الجنوب ، ومملكة إسرائيل التي ورثها السامريون وهم ينسبون إلى يعقوب ويدّعون أنهم دون غيرهم الجديرون باسم (الإسرائيليين) ، فإذا اعتقد أصحاب مملكة يهوذا في الجنوب أن عاصمتهم - بيت المقدس - هي مقر الملك المنتظر من سلالة داود ، فإن السامريين أبناء الشمال يفتحون السبيل إلى الإيمان

بالخلاص الروحاني والهداية الشعبية ، ويزعزعون الثقة بأحبار الهيكل الجنوبي وفيمن عسى أن يبايعوه بالملك إذ حان الموعد المقدور .

ولم تخل البلاد جميعاً - مع هذا - من ناس هنا وهناك يئسوا من جميع الطوائف والنحل واعتزلوا الدنيا وعاشوا في الصوامع بمعزل عن العمران ، وارتفع شأنهم في أعين الشعب لسوء ظنه بالدعاة المغامسين للدنيا في بيئات الساسة والكهان ، ومن هؤلاء (بانوس) الذي تتلمذ عليه يوسفيوس المؤرخ الكبير ٣ سنوات .

أما موقف الهيكل من هذه الطوائف والفرق فهو الموقف الرسمي المعهود ، أو موقف المسئولين الذين يحاولون أن يتجنّبوا التحيّز لهذا أو لذاك ، ويجتهدون غاية اجتهادهم أن يكسبوا ثقة الشعب ولا يغضبوا سلطان الدولة ، وقلما يتيّسر النجاح في هذه المهمة ، ولا سيما في أوقات القلق والتطلع والتبرم بكل موجود . وولد السيد المسيح ووظائف الهيكل على أشهر الروايات مصفاة في المجمع المقدس الذي يطلق عليه اسم (السنهدرين) ، وعدة أعضائه ٧١ منهم ٢٣ يتألف منهم المجلس المخصوص وتغلب عليه الصفة الرسمية التقليدية ، ويتصل أعضاؤه برجال الدولة في الشئون العامة وما يرجع منها إلى تنفيذ الأحكام ، والمحافظة على الشريعة المحلية أو الشريعة الموسوية .

ونشير إلى طائفة النذيرين أو المنذورين لحياة القداسة وخدمة الله والتبشير باليوم الموعود : يوم الخلاص من الظلم والجور والتطهر من الذنوب ، ولم يكن هؤلاء طائفة تجمعهم الوحدة ، لكنهم كانوا آحاداً متفرقين ينذر كل منهم نفسه أو ينذره أهله على حدة . وقد تكاثر النذيرون قبيل مولد السيد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة منذ بدء الخليقة على حساب التقويم العبري ، وهم كانوا ينتظرونه على رأس كل ألف سنة ... ومن المؤرخين من يحسب السيد المسيح من النذيرين ، ويلتبس عليه الأمر بين النذيري والناصري وهما في اللفظ العبري متقاربان »[1] .

---

١ - العقاد : عبقرية المسيح ص ١٥ - ٣٧ ملخصاً ، حتى : تاريخ سوريا - ترجمة حداد ورافق جـ١ ص ٣٧٥.

هذا عرض مجمل للطوائف اليهودية التي سوف تستقبل رسالة المسيح ...

«في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه ... أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً ، وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجرّبه ...» «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنهم أجابهم حسناً سأله ...» (مت ٢٢ : ٢٣ ، ٣٤-٥ / مر ١٢: ١٨ ، ٢٨) «فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه .. ولما علم بولس أنّ قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون صرخ في المجمع : أيها الرجال الإخوة أنا فريسي ابن فريسي ، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم . ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك » (أعمال ٢٣ : ٢ - ٩) .

وقد تآمرت الطوائف اليهودية جميعها ضد المسيح وتعاليمه .. «إن الفريسيين لا يتردّدون في محالفه الهيرودسيين ألدّ أعدائهم ، على الرغم مما بين الحزبين من تشاحن وبغضاء وعداء قديم مستفحل ، مردّه ما يتمتع به الهيرودوسيون من نفوذ وثروات طائلة نتيجة ممالأتهم لقوات الاحتلال الرومانية وولائهم لهيرودوس . أما كيف لبّى الهيرودوسيون دعوة الفريسيين فلأنهم أوجسوا خيفة أن يكون هذا المعلم سبباً في انقلاب اجتماعي وأحداث تطيح بالاستعمار وحليف الاستعمار هيرودوس الملك ... ولا غرو أن يجرّب حزب الصدوقيين أيضاً حظّه بعد فشل باقي الأحزاب ، وهو الحزب القائل بعدم قيامة الأموات وأن لا حياة إلا الحياة الحاضرة . ومن ثَمَّ كان ينكر الصدوقيون الدينونة وخلود النفس ووجود الملائكة ، ويرفضون بإصرار لا تعاليم التقليد فحسب بل تعاليم الكتاب المقدس أيضاً ، باستثناء ما جاء في أسفار موسى الخمسة وهي الأسفار المعروفة بالشريعة أو التوراة . هذا من جهة العقيدة ، أما من جهة الآداب فكانوا على مذهب أبيقور - وهو

المذهب الذي يبيح التمتع بالطيّبات مهما كان نوعها إلى أقصى الحدود ، بشرط ألا ينجم عن ذلك مضرّة للجسد أو خطر على الحياة نفسها . وكان حزب الصدوقيين حزب الأقليّة ، إلا أنهم كانوا أصحاب سلطة ونفوذ بسبب ممالأتهم للرومان ، فمنهم كان الأعيان ورؤساء الكهنة أعضاء السندريم .. وكان اليهود يستخدمون العصائب والأهداب للدلالة على تمسكهم بحبل الله وأهداب الشريعة ، أما العصائب فهي قطع من الرقّ كانوا يكتبون عليها الأربعة الأجزاء التالية من الشريعة : (خروج ١٣ : ١ - ١٠ ، خروج ١٣ : ١١ - ١٦ ، تثنية الاشتراع ٦ : ٤ - ٩ تثنية الاشتراع ١١ : ١٣ - ٢١) ، وذلك استناداً إلى ما ورد في هذه الآيات نفسها ، وفي تثنية الاشتراع (٦ : ٨) (واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك) ، علماً بأن المقصود من ذلك هو المعنى المجازي لا الوضعي ، إذ المراد هو العمل بالوصايا وإطالة النظر فيها بتأمّلها المليّ لا حملها ماديًّا . على أن قطع الرقّ المذكورة كانت تُطوى وتحفظ داخل علب خاصة وتُربط العلب بسيور على الجبهة والذراع اليسرى ، وذلك في أيام وساعات معينة - ولا سيما وقت الصلاة . أما الأهداب فهي عبارة عن أربع شرابات من الخيوط ، تُعلّق في ذيل الثوب في أربع زواياه ، كانت تأمر بها الشريعة ، تذكرة بجميع وصايا الرب ، وقد ورد ذكر ذلك في سفر العدد (١٥ : ٣٧ - ٤١) . وكان الكتبة والفريسيون ، كما هو واضح من قول الرب يعَرِّضُون عصائبهم ويُعَظِّمُون أهدابهم ويُطَوِّلُونها ، حُبًّا في الفخفخة والمجد الباطل ، وبذا تشاغلوا عن جوهر الدين بأسباب الفخر والكرامة . ولذا لا غرو إذا أحبوا الكرامة وأن يدعوهم الناس : رابي ، أي يا معلّم »[1] .

وبين هؤلاء جميعاً أشرق الهدى : «نور إعلان للأمم ، ومجدًا لشعبك يا إسرائيل» (لو ٢ : ٣٢) .

---

١ - لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج٢ ص ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ .

**دولة :**

يرى قارئ الأناجيل في ديار المسيح ملكيات صغيرة في ظلال الحكم الروماني المسيطر .. «فلما سمع هيرودوس الملك اضطرب وجمع أورشليم معه » (مت ٢ : ٣) ، «وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة ، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سوريا ، فذهب الجميع ليكتتب كل واحد إلى مدينته ، فصعد يوسف أيضاً من الجليل مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته - ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة ..» (لو٢ : ١-٥) «وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية ، وهيرودوس رئيس ربع على الجليل ، وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطوريه وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية - في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية » (لو٣ : ١-٢) .

وهكذا نجد أمامنا تقسيمات وتنظيمات رومانية في الإدارة الإقليمية ، وقد أشار بولس بوضوح إلى ترتيب المدن والأقاليم في التنظيم الإداري للدولة الرومانية حين سئل من الأمير عند اضطراب أورشليم عليه : «أفلست أنت المصري الذي صنع قبل هذه الأيام فتنة ... إلخ »فأجاب «أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل **مدينة غير دنية** من كيليكية » (أعمال ٢١ : ٣٩) . كذلك نجد أيضاً اصطلاحات عسكرية رومانية «ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء إليه **قائد مائة** يطلب إليه ويقول : يا سيدي غلامي مطروح في البيت ... إلخ » (مت ٨ : ٥-٦) ، وقائد المائة Centurion من رتب الجيش الروماني . ونجد للعشّار - جابي العشور أو الضرائب - ذلك الوضع البغيض «وبعد هذا خرج فنظر عشاراً اسمه لاوي جالساً عند مكان الجباية ، فقال له : اتبعني - فترك كل شيء وقام وتبعه ، وصنع له لاوي ضيافة كبيرة في بيته والذين كانوا متكئين معهم كانوا جميعاً كثيراً من عشارين وآخرين . فتذمّر

كتبتهم والفريسيون على تلاميذه قائلين : لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة » (لو ٥ : ٢٧ - ٣٠ ، أيضاً مت ٩ : ٩ - ١١ ، مر ٢ ك ١٣ - ١٦) .

ويبدو أن الاكتتاب الذي أمر به القيصر أغسطس كما ذكر في إنجيل لوقا هو الإحصاء الذي أشار إليه المؤرخ يوسيفوس وأرخّه بما يقابل السنتين السادسة والسابعة للميلاد ، ويذكر الأستاذ العقاد أنه لا يمكن أن يكون قبل ذلك لأن تاريخ ولاية كيرينوس - المشار إليه في النص - معروف وهو السنة السادسة ، وعند ذلك «حسب الشعب الإسرائيلي أن الإحصاء مقدّمة لفرض السيادة القيصرية عليهم فرداً فرداً وتقييدهم عبيداً للقيصر ومطالبتهم بعبادته وافتتاح الصلوات باسمه ... أما المشكلة الأخرى التي أثارها تقرير الإحصاء فهي مشكلة الضريبة وعسف الجباة في تحصيلها ، فقد كان اليهودي يؤدّي ضريبتين إحداهما للهيكل والأخرى للدولة ، فلما صدر الأمر بالإحصاء العام توّهم الدهماء أنّ الدولة لا تكتفي بما تحصّله جملة وتنوي أن تزيد عليه ضرائب تستوفيها من الآحاد فرداً فرداً مع الشطط في تحصيل ضرائب الالتزام ، فاستجابوا داعي الثورة من الغلاة وغضبوا لعقائدهم كما غضبوا لأرزاقهم ، حين أمروا بالعودة إلى بلادهم ليسجّلوا أسماءهم حيث ولدوا أو حيث يقيمون . ومن هنا كان من المتواتر أن السيد المسيح ولد في أعقاب ثورة جائحة اشتعلت في أقاليم فلسطين اليهودية على وجه الخصوص ، وأهدرت فيها دماء الألوف من الغلاة وأتباعهم لأنهم هبّوا في وجه الدولة الرومانية محتجين على صدور الأمر بالإحصاء العام» [1] .

وقد جهد خصوم المسيح أن يستثيروا شكوك الدولة الرومانية ضده «ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيروديسيين لكي يصطادوه بكلمة ، فلما جاءوا قالوا له يا معلّم : نعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ،

---

١ - العقاد : عبقرية المسيح ص ٤٣ - ٥٠ .

بل بالحق تعلم طريق الله ، أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا ؟ نعطي أم لا نعطي ؟ فعلم رياءهم ، وقال لهم . لماذا تجرّبونني ؟ إيتوني بدينار لأنظره . فأتوا به ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر . فأجاب يسوع وقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فتعجبّوا منه » (مر ١٢ : ١٣-١٧ ، أيضاً مت ٢٢ : ١٥-٢٢، لو ٢٠: ٢٠-٢٦) .

ثم نرى أخيراً أن والي الرومان وجنوده يتولّون إجراءات المحاكمة وتوقيع العقوبة : «فوقف يسوع أمام الوالي قائلاً : أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء . فقال له بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة ، حتى تعجب الوالي جدًّا . وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه ، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس ... فأجاب الوالي وقال لهم : من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟؟ فقالوا : باراباس ، قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح ؟؟ قال له الجميع : ليصلب ... فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعرّوه وألبسوه رداء قرمزيًّا ، وضفّروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة في يمينه ... ».

«وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود » (مت ٢٧ ، لو ٢٣ ، مر ١٥ ، يو ١٩) .

ويظهر أن حادثة الصلب قد اعتبرت وقتها من المسائل المحلية الداخلية ، فلم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج أورشليم ، ولذلك صدر أمر بيلاطس فيها بدون استئذان روما ، وترك الرأي فيها لليهود . وقد كان الصلب من طرق العقاب الرومانية ، كما كان الجلد يسبقه عادة [1] .

---

١ - ديورانت : قصة الحضارة ترجمة بدران ج٣ م٣ (قيصر والمسيح) ص ٢٣٧ .

ونقرأ في أعمال الرسل أسماء أمم وأقاليم متعدّدة تضمّها الإمبراطورية الرومانية «فنهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتنيين والقيروانيين والإسكندريين ، ومن الذين من كيليكيا وآسيا يحاورون استفانوس » (٦ : ٩) . وفي رسالة بطرس الرسول الأولى «بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغرّبين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثنية المختارين » (١ : ١) . وتتحدّث رؤيا يوحنا اللاهوتي عن السبع الكنائس «التي في آسيا إلى إفسس وإلى سميرنا وإلى برغامس وإلى ثياتيرا وإلى ساردس وإلى فيلا دلفيا وإلى لاودكيا » (١ : ١١) . ونرى في العهد الجديد رسائل إلى رومية وكورنثوس وغلاطية وإفسس وفيليبي وكولوس وتسالونيكي .

وقد كان متى عشّاراً (جابيا) للدولة الرومانية ، وكان بولس الذي صار من بعد رسول المسيح - يمارس سلطته في اضطهاد المسحيين قبل تحوّله للمسيحية ، وهو يروي قصته بنفسه في موقف خطابي مثير ، إذ تألّب عليه اليهود الذين من آسيا في الهيكل «فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي ، صارخين : يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا ، هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع في كل مكان ضد الشعب والناموس وهذا الوضع ، حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل ودنّس الموضع المقدس ... حينئذ اقترب الأمير وأمسكه وأمر أن يُقيّد ... فقال بولس : أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنّية من كيليكية ، وألتمس منك أن تأذن لي أن أكلّم الشعب ، فلما أذن وقف بولس على الدرج وأشار بيده إلى الشعب ، فصار سكوت عظيم ، فنادى باللغة العبرانية قائلاً : أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا احتجاجي الآن لديكم - فلما سمعوا أنه ينادي باللغة العبرانية أعطوا سكوتاً أحرى ، فقال : أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن رُبيّت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي ، وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مُقَيِّداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء - كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين أخذت أيضاً منهم رسائل للإخوة

إلى دمشق ، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيّدين لكي يعاقبوا . فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرّب إلى دمشق ، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فأجبت : من أنت يا سيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده - والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلّمني . فقلت : ماذا أفعل يا رب ؟ فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . وإذ كنت لا أبصر - من أجل بهاء ذلك النور ، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق ... »[1] .

وقد انتفع بولس من رعويته الرومانية إلى آخر مدى خلال جولاته التبشيرية . حدث هذا عندما نزل مع رفيق له يدعى تيموثاوس إلى كولونية من مقاطعة مقدونية للدعوة والتبشير «وإذا أتوا بهما إلى الولاة قالوا : هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا ؛ وهما يهوديان وينادیان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها إذ نحن رومانيون . فقام الجمع معاً عليهما ، ومزّق الولاة ثيابهما وأمروا أن يضربا بالعصى ... ولما صار النهار أرسل الولاة الجلادين قائلين : أطلق ذينك الرجلين ... فقال لهم بولس : **ضربونا جهراً غير مقضيّ علينا ، ونحن رجلان رومانيان ، وألقونا في السجن** - أفالآن يطردوننا سرًّا !! كلا بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا . فأخبر الجلادّون الولاة بهذا الكلام ، فاختشوا لما سمعوا أنهما رومانيان ، فجاءوا **وتضرّعوا** إليهما وأخرجوهما وسألوهما أن يخرجا من المدينة » (أعمال ١٦).

وفي أورشليم ثار اليهود على بولس وعلى رفيقه اليوناني - وهناك خطب خطبته عن اعتناقه للمسيحية بعد أن كان سوط عذاب عليها - وقبض عليه «فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن **تجلدوا إنساناً رومانيًّا غير**

---

١ - أعمال ٢١ ، ٢٢ وقد كرّرت القصة في مواضع مختلفة من أعمال الرسل مثل صح ٩ ، ٢٦.

مقضيّ عليه ؟ فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً : انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل ، لأن هذا الرجل روماني . فجاء الأمير وقال : قل لي ، أنت روماني ؟ فقال : نعم . فأجاب الأمير : أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعويه . فقال بولس : أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحّى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه ، **واختشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قيده**» (أعمال ٢٢ : ٢٥ - ٢٩) !

كذلك تعرّض بولس في قيصرية للمحاكمة أمام فستوس . وأراد اليهود أن يستدرجوه إلى أورشليم ليقتلوه في الطريق ، وطلبوا من الوالي أن يحقق لهم ذلك «ولكن فستوس إذ كان يريد أن يودع اليهود منّة أجاب بولس قائلاً : أتشاء أن تصعد إلى أورشليم لتحاكم هناك لديّ من جهة هذه الأمور . فقال بولس : **أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحاكم** ، أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت جيداً ، لأني إن كنت آثماً أو صنعت شيئاً يستحق الموت فلست أستعفي من الموت ، ولكن إن لم يكن شيء مما يشتكى على به هؤلاء فليس أحد يستطيع أن يسلمني لهم . **إلى قيصر أنا رافع دعواي** . حينئذ تكلم فستوس مع أرباب المشورة فأجاب : إني قيصر رفعت دعواك ، إلى قيصر تذهب . وبعد ما مضت أيام أقبل أغريباس الملك وبرنيكي إلى قيصرية ليسلّما على فستوس ، ولما كانا يصرفان هناك أياماً كثيرة عرض فستوس على الملك أمر بولس قائلاً : .. فلما وقف المشتكون حوله لم يأتوا بعلّة واحدة ، ... لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حي ، وإذ كنت مرتاباً في المسألة عن هذا قلت لعلّه يشاء أن يذهب إلى أورشليم ويحاكم هناك من جهة هذه الأمور ، ولكن لما رفع بولس دعواه لكي يُحفظ لفحص أغسطس أمرت بحفظه إلى أن أرسله لقيصر . فقال أغريباس لفستوس : كنت أريد أنا أيضاً أن أسمع الرجل ، قال : غداً تسمعه ... فقال أغريباس لبولس : مأذون لك أن تتكلم لأجل نفسك ، حينئذ بسط بولس يده وجعل يحتج ... وقال أغريباس لفستوس: كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم

يكن رفع دعواه إلى قيصر ... فلما استقّر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا ، سلّموا بولس وأسرى آخرين إلى قائد مائة من كتيبة أغسطس ... ولما أتينا إلى رومية سلّم قائد المائة الأسرى إلى رئيس المعسكر ، وأما بولس فأذن له أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه . وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود ، فلما اجتمعوا قال لهم : أيها الرجال الإخوة - مع أني لم أفعل شيئاً ضد الشعب أو عوائد الآباء ، أسلمت مقيّداً من أورشليم إلى أيدي الرومانيين الذين لما فحصوا كانوا يريدون أن يطلقوني لأنه لم تكن فيّ علّة واحدة للموت ، ولكن لما قاوم اليهود اضطررت أن أرفع دعواي إلى قيصر ، ليس كأنّ لي شيئاً لأشتكي به على أمتي ، فلهذا السبب طلبتكم لأراكم وأكلّمكم لأني من أجل رجاء إسرائيل موثّق بهذه السلسلة . فقالوا له : نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية ، ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلّم عنك بشيء رديء ، ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى ، لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنّه يقاوم في كلّ مكان . فعيّنوا له يوماً فجاء إليه كثيرون إلى المنزل ، فطفق يشرح لهم ... ولما قال هذا مضى اليهود ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم . وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه ، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزا بملكوت الله ...» (أعمال : ٢٥ : ٢٨) .

ونحن لا يسعنا إلا أن نحيي هذا العدل الروماني في إجراءات الاتهام والتحقيق ، على الأقل في المراحل الأولى للمسيحية ، وإن كانت درجة المواطن الروماني التي تكفل لصاحبها هذه الحقوق والضمانات لم تكن تشمل كل سكان الإمبراطورية طبعاً ، وإنما كانت تُمنح بشروط خاصة . وإن نصوص العهد الجديد ذاته لتعزّز ما قرره أستاذ علم البردي هـ . آيدرس بل Bell حيث يقول «وإنه لمن الخطأ أن نعتقد أنّ الاضطهاد كان حملة متصلة ، أو أن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات . فقد كانت روما متسامحة كل التسامح في المسائل الدينية ، ولم تحاول أن تستأصل شأفة أيّ عبادة جديدة إلا بحجة منافاتها

للمبادئ الأخلاقية أو تعارضها مع السياسة العامة . كان المسيحيون في نظر السلطان مواطنين أشراراً وعنصراً خطراً في المجتمع ، لأنهم كانوا يترفّعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ولا يقدّسون صور الأباطرة ولا يشتركون في عبادة (روما المؤلّهة) أو (الروح الحارس) للإمبراطور ، وكان في تضامنهم وخلوتهم وقت التعبّد ما يوحي بأنهم جماعة سرية ، وقد اتّهموا بممارسة أبشع العادات كالزواج المحرّم والشعائر المخلّة بالآداب وإهراق الدماء البشرية - طبقاً للطقوس - هذه هي التهم التي كالها الوثنيون للمسيحيين ، وهي نفس التهم التي كالها المسيحيون لليهود في القرون التالية . غير أنه كان هناك دائماً بين الوثنيين من كانوا مستعدين للتستّر على أصدقائهم المسيحيين ، كما كان حكام الولايات يحجمون أشدّ الإحجام في معظم الأحيان عن تطبيق قانون العقوبات عليهم . ولم يكن الاضطهاد عامًّا إلا عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبي ، وكما يقول ترتوليان Tertullianus في إحدى فقراته المشهورة : «فإذا فاض التيبر على الأسوار ، أو غاض النيل فلم يبلغ الحقول ، أو أمسكت السماء عن المطر ، وإذا زلزلت الأرض أو حدثت مجاعة أو انتشر وباء ... تتعالى الصيحات على الفور هاتفة : فليُلْقَ بالمسيحيين إلى الأسد »!! وفي تلك الأوقات كان هناك بين الناس من يعوزهم الجلد على احتمال البلاء ، ولو أنّ كثيرين منهم صمدوا للمحنة . ومن المستحيل أن نقرأ القصص الأولى - الحقيقية فيما يبدو - عن الاستشهاد مثل آلام القديسة بربتوا Perpetua أو أعمال شهداء سكيلي Scilli دون أن تهتزّ مشاعرنا اهتزازاً للبطولة الرائعة التي أبداها كلٌّ من الرجال والنساء في غير مباهاة ، وخاصة عندما نتذكر أنّ مضمون هذه القصص يتلخص في العبارة البسيطة : أنا مسيحي ، أنا مسيحية Christianus sum, Christiana sum.

ولدينا من منتصف القرن الثالث طائفة من البرديات التي توضح بجلاء اضطهاد المسيحيين على أيام الإمبراطور ديكيوس Dicius ، وهي عبارة عن

شهادات بتقديم القرابين للآلهة الوثنية Libeli ... وكان الذين لا يقدمون هذه الشهادات يعتبرون مسيحيين !! على أنّ بعض ضعاف النفوس سمحت لهم ضمائرهم أن يقدّموا للسلطات شهادات مزوّرة !! »[1].

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام كيف أنّ السلطات الرومانية - ممثّلة في بيلاطس البنطي الحاكم المحلّي - كانت زاهدة في توقيع أيّة عقوبة على المسيح نفسه بشهادة الأناجيل !! وأنّ اليهود ورؤساءهم كانوا هم أسباب ما كان ... حتى أنّ بيلاطس أراد أن يطلقه لهم في العيد ، فأبوا إلا القتل على الصليب !!

ويبدو بجلاء أن الإمبراطورية الرومانية كانت تعتبر المسيحية في أوّلها مسألة دينية محلّية بين اليهود وغيرهم ، ويظهر هذا تماماً في قول فستوس «لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حي!! ».

ولم يكن يدري فستوس - كما لم يكن يدري بيلاطس من قبل - أنهما بصدد حدث تاريخي ضخم ، سيكون أبقى على الزمن من روما المجيدة !!!

فتح الرومان سوريا وفلسطين على يد قائدهم الكبير (بومبي) Pompeii الذي قضى على ثورة العبيد بقيادة سبارتا كوس المشهور Spartacus ، «ومن دلائل القوة أن تستطيع الدولة قمع فتنة كتلك الفتنة الجبارة التي لم يعرف لها مثيل في ثورات العبيد الأقدمين ، ولكنها ولا ريب دلائل القوة التي تقابلها دلائل الضعف من جانب آخر ، فلو لم يكن في بنية الدولة صدع مخيف لما

---

١ - بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي - ترجمة الدكتورين عواد حسين وعبداللطيف أحمد علي - ص ١٧٠ - ١٧٣.

استطاع عبد أن يجمع سبعين ألف عبد ويقهر بهم جيوش رومة زهاء ثلاث سنوات ، ولولا خلل في كيان المجتمع لما اشتمل على أضعاف هذا العدد من الأرقّاء المسخّرين الذين ينظرون إلى مجد رومة نظرة الحقد ، ويجازفون بالحياة ليهبطوا به إلى الحضيض!!» [1].

وعندما توفى قيصر ، وتحارب أنطونيوس وأوكتافيوس ، وبدا كأنّ الإمبراطورية الرومانية على وشك الانقسام ، انتصر أوكتافيوس فارتبطت عرى الإمبراطورية خلال هذه القرون التي امتلأت بالأحداث الخطيرة «**ويبدو كأن العناية الإلهية هي التي أوصت بإقامة هذه الإمبراطورية العالمية ، لكي تعين على قيام دين عالمي**» - كما يقول المؤرّخ فيشر H. Fisher .

وعمدت الحكومة الجديدة إلى مكافحة الشرور التي خلّفتها حروب قرنين ، وكان شعار إمبراطورية أغسطس (أوكتافيوس) هو السلم والرحمة والأمن والعدالة ...

وخلع على الإدارة طابع الجدّ والعمل ، بتنظيمها على نمط بيروقراطي وإجراء إحصائيات منظمة وإدخال نظام دقيق للمحاسبة أغلب الظن أنّه نقل من مصر . وقد أملت الحكمة على أغسطس أن يحتفظ بمظاهر الحرية التي كانت عزيزة على شعب فخور محافظ كالشعب الروماني . ومع ذلك فقد خُلعت على شخصه حماية قدسية ، ووضعت في قبضته الجيوش والولايات ... ولقد كانت التغيّرات التي استحدثها أغسطس في نظم الحكم واسعة المدى ، ولكنها جاءت دون طفرة ، «وفي يد أغسطس أصبحت السلطة مصدر خير دائم للجميع ، واتّسمت بطابع رحيم بل أبوي ، وانتهت أعمال الاغتصاب الكريهة التي كان يرتكبها الرأسماليون الأوليجاركيون ، وشنّ أغسطس حرباً شعواء على عدم

---

١ - العقاد : عبقرية المسيح ص ٣٩.

التديّن وإهمال التناسل ، وحاول أن يعيد ذلك الخلق الروماني المتين »- كما يقول فيشر . ولم يكن لدى الشعب الروماني يوم خرج من محنة الحرب الأهلية - أيّ ميل لمناهضة حاكم نافذ البصيرة يسهل الاتصال به ، أو نظام حكيم يتيح لكل طبقة فرصة أداء عمل شريف في خدمة الحكومة ، «ولم يكن في وسع أغسطس المتواضع الذي اعتبره الشعب - بحق - منقذ الوطن أن يتفادى منحه مظاهر التأليه التي خُلعت من قبل على خال والدته الفذّ . وعلى كلّ حال فإن عبادة الإمبراطور - التي أدمجت في رفق وهوادة في عبادة الأسر والمذاهب المحلّية في روما وكان أهل الولايات يبالغون في إقامة شعائرها - سرعان ما أصبحت تُعتبر أحد العوامل التي تساعد على الوحدة بين أجزاء تلك الإمبراطورية التي خلفتها العناية الإلهية ». وشاء القدر أن يولد فرجيل Virgel شاعر إيطاليا الملهم (٧٠ق.م) ، وليفيوس Livius مؤرّخ الجمهورية الرومانية القصصي (٥٩ق.م) فيبلغا بالعظمة الرومانية شأوا بعيداً ، وكانت الإمبراطورية في الشكل الذي أعطاه إياها أغسطس تشمل أسبانيا وبلاد الغال وإيطاليا والبلقان والشاطئ الشمالي لإفريقية وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ، «وهكذا غدا البحر المتوسط بحيرة رومانية ، وأصبح كلّ شعب من الشعوب التي ساهمت بنصيب في قيام الحضارة الغربية خاضعاً لروما ».

غير أن الريح لم تكن تجري طيبة رخيّة هكذا دوماً ، ففي الشمال والشمال الغربي جثم أكبر مصدرين لضغط البرابرة ، حقًّا امتدّ الدانوب والرين يذودان عن حياض الإمبراطورية الرومانية ، لكن انتشرت وراء هذه الحدود النهرية الطويلة جحافل القبائل الجرمانية ، تنخس الدولة الكبرى في جنباتها بغزوات وانثيالات بين حين وآخر ، ولئن كان تيبريوس ابن زوج أغسطس وخليفته جنديًّا بارعاً وإداريًّا ممتازاً اقتفى آثار سلفه ، فإن خلفاءه الثلاثة من بعده كانوا : بين مجنون هو كاليجولا Caligula ، ودعيّ هو كلاوديوس Claudius ، ووحش ذائع الصيت هو نيرون Nerun . ثم أعقب

هؤلاء الثلاثة أربعة أباطرة متنافسين ، وحلّ عام من الفوضى ... لكن الدفاع الروماني لم يتحطّم إلا في النصف الأخير من القرن الثاني [1].

وللأستاذ العقاد رأى آخر في عصر أغسطس : «فقد كان عصراً مجيداً بقوّة السيف دون قوّة أخرى من القوى الإنسانية ... وانتهت بروما الحاجة إلى تلك القوة ، فباعتها حريتها وكرامتها ، وضيّعت الجمهورية في سبيل القيصرية المطلقة ، بل رفعت القيصر إلى مقام الربوبية المعبودة ... وكان القانون والنظام فخر رومة بين الدول ، فضاع القانون مع السلطان المطلق ، وضاع النظام مع التفاوت البعيد بين الحاكمين والمحكومين : ثروة وترف وطغيان من ناحية ، وفقر وضنك وهوان من ناحية ... ولم يستقر الأمر للدولة الرومانية في فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحها ، لأنّ التنازع بين الرومان والفرس لم يترك للبلاد قراراً في مدى عشرين سنة » [2].

أما الدكتور أسد رستم فيقول : «كانت الدولة الرومانية قد بسطت سلطتها على جميع أنحاء حوض البحر المتوسط ، وربطت أجزاء إمبراطوريتها بشبكة واسعة من الطرقات ، وفرضت شرائعها ولغتها فبلغ بذلك عالم البحر المتوسط درجة من التوحيد لم يبلغها من قبل ، **وبهذا التوحيد سهّلت روما انتشار الدين الجديد** ، ولكن كبار الرومانيين لمسوا في تعاليم هذا الدين نفسه خطراً يهدّد سلامة الدولة . وتفصيل هذا أن اليونانيين والرومانيين لم يفرّقوا بين الوطنية والدين ، فالمواطن عندهم كان مواطناً بقدر اشتراكه في التعبّد لإله المدينة ، وباتساع أفق المدينة السياسي اتسع كذلك أفق دينها ، فلما تمّ لروما بسط سلطانها في حوض البحر المتوسط اعتبر رجالها إلاهتهم روما إلهة الإمبراطورية بأسرها . وبهر أغسطس رعايا

---

١ - فيشر H. Fusher تاريخ أوربا في العصور القديمة - ترجمة الدكتورين إبراهيم نصحي وعواد حسين ص ١٢١ - ١٢٧.

٢ - العقاد : عبقرية المسيح ص ٣٩ - ٤٥.

روما في الشرق بقوته وتدبيره وعظمته ، فرأوا في شخصه مخلّصاً إلهيًّا يمنع الحروب ويوطّد السلم - وهو ما تنص عليه جملة نقوش في نواح متعدّدة من آسيا الصغرى ترقى إلى القرن الأول ق.م. وذهب اليونان في آسيا الصغرى في سنة ٢٩ق.م. إلى أبعد من هذا فأنشأوا هيكلاً خاصًّا لعبادة روما وأغسطس ، ورأى أغسطس في هذا خيراً له ولروما فشجَّع عليه رعاياه ونقله إلى الغرب .. واتخذ لنفسه لقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus . وما كادت تنتظم أمور هذا الدين الإمبراطوري الجامع حتى أخذ رسل المسيح وتلاميذه يبشّرون .. **ولو حصر الرسل والتلاميذ عملهم في الأوساط اليهودية لما تنبّه الرومان وتيقظوا ، ولكنّهم بشروا الخليقة كلّها ، وحملوا رسالة السيد إلى أمّهات المدن - بل إلى روما نفسها ، فكان لابّد من الاضطهاد ..**

ويجدر بالقارئ أن يذكر فيما يتعلّق بالاضطهاد أربع حقائق :

**أولاً:** أنّ المؤرخين يشيرون عامة إلى عشرة اضطهادات بين عامي ٦٤م، ٣١٣م - عام البراءة .

**وثانياً:** أنّ الاضطهاد أُجْرِي بموجب تشريع خاص صدر عن نيرون سنة ٦٤م وقضى بألا يكون أحد مسيحيًّا .

**وثالثاً :** أنّ الاضطهاد لم يكن دائماً عامًّا شاملاً .

**ورابعاً :** أنه لايمكن تحديد عدد الضحايا ، ويجوز القول أنهم كانوا كثيرين »[1] .

وكان عالم البحر المتوسط يزداد اهتماماً بعقيدة الحياة الآخرة ... فوثنية الرومان لا تتبنّى أهدافاً خلقية ولا تنتظم إشرافاً كهنوتيًّا ، ولا تتناقض مع الأعياد والمباهج بل هي جزء منها ، «ثم إنّ هذا المذهب البهيج المتسامح قد عجز منذ أمد طويل عن

---

١ - الدكتور أسد رستم : الروم جـ١ ص ٣٢ ، ٣٣.

كسب ولاء أصحاب العقول المستنيرة ، وذلك لأنّه كان لا يستجيب إلى الاحتياجات النفسية العميقة ولا إلى المطالب العقلية ... والواقع أنّه قبل أن تصبح المسيحية دينا أوربيا كانت الفئة المستنيرة في الإمبراطورية الرومانية تألف عقيدة التوحيد والحياة الموهوبة . وأصبح للفيلسوف في القرن الثاني للميلاد مكان ملحوظ بين الناس باعتباره ناصحاً روحيًّا وشافياً للآلام النفسية ، وهكذا كان يضطلع بقسط كبير من المهام التي كانت يقوم بها - فيما بعد - الآباء في الكنيسة المسيحية» ... إذن جاءت الرسالة المسيحية في وقتها ، فازدهرت رغم الاضطهاد ، وما وافى عصر الإمبراطور أورليان حتى كانت قد انتشرت في الشرق وتغلغلت في روما نفسها حتى نافست ديانة الدولة الرسمية (الشمس) ، «ولعلّه يحقّ لنا أن نعزو - ولو جزئيًّا - إلى ذلك الاهتمام البالغ بالدين ، تلك الظاهرة الغريبة التي بدت في حياة الإمبراطورية وسياستها خلال القرنين الرابع والخامس ... لم يبق من شعلة الوطنية الرومانية القديمة إلا ضياء خافت ، وأخذ عامل جديد يفوز بولاء أعداد متزايدة من الرجال والنساء الممتازين بنشاطهم وأهميتهم في الغال وإيطاليا والعالم الإغريقي . كانت الدولة توفّر للناس أودهم المادي ، لكنها لم تعد تغذّي أرواحهم . وعندما تكدّست الصعاب الخارجية ازدادت تكاليف الحكومة واضطربت أداتها واشتد إرهاقها للمحكومين ، وقد ازداد ضغط الدولة على الأفراد بقدر ما نقص ولاؤهم السياسي ، وشاعت بين جميع الطبقات روح التملّص والتبرّم بأداء ضرائب الدم والمال والحاجات التي تطلبها الدولة . فقد انتشرت هذه الروح بين المزارعين والتجار وأعضاء المجالس ، فقابلتها الحكومة بأساليب عنيفة حولت هؤلاء جميعاً إلى فئة وراثية من الأرقّاء في دولة من العبيد »[1] .

---

١ - فيشر H. Fusher تاريخ أوربا في العصور القديمة - ترجمة الدكتورين إبراهيم فصحي وعواد حسين - ص ١٣٤ - ١٣٧ .

هذه صورة إمبراطورية الرومان في عمومها ، فما تكون صورة حكمها في فلسطين ؟؟؟

«لقد شملت الإمبراطورية الرومانية على عهد أغسطس سبعين مليوناً من السكان على الأقل ... حوالي ثلاثة أرباعهم كانوا في الأقاليم التي ارتفع عددها في ختام حكم أغسطس إلى ٢٤ أو ٢٥ إقليماً ... وفي اليهودية Judaea منح أغسطس ثقته التامة للملك هيرودوس الذي جمع بين كفاءة الإدارة والنشاط الفائق في تنمية التقدّم المادي لمملكته والإخلاص لروما الذي لايقبل الجدل ، وإن لم يكن لديه مثل هذا التوفيق في إرضاء رعاياه . وأذن أغسطس لأبناء هيرودوس الثلاثة أن يقتسموا مملكة أبيهم بعد وفاته سنة ٤ ق.م. ، لكنّه عاد في سنة ٦م فعزل الأكبر أرخيلاوس Archelaus وجعل حصّته اليهودية وسماريا Judaea, Samaria في ولاية خاصة ، في حين ظلّت الجليل في يد الابن الثاني هيرودوس أنتيباش Herodus Antipas ... وقد كانت المشكلة الإدارية العاجلة بالنسبة لأغسطس في الأقاليم ، أن يتدارك التدهور المزعج في ثروتها الذي كان يتفاقم بخطى متسارعة منذ وفاة قيصر ... ومن أجل مواجهة الأعباء المتزايدة للإدارة كان الإمبراطور مضطرًّا لفرض ضرائب جديدة »[1].

هذه صورة موجزة ينقلها إلينا الأستاذ كاري عن نظام الحكم الإقليمي في أرجاء الإمبراطورية ، كما يحمل لنا بها أمر هيرودوس وأبنائه ، ولهم في الأناجيل شأن مع الدعوة المسيحية ...

«ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودوس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ .. وبعدها انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً : قم وخذ الصبي وأمّه

---

1- Cary: Hist. of Rome, p. 507, 509, 512.

واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودوس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه .. فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحقّقه من المجوس ، حينئذ تمّ ما قيل بأرميا النبي القائل : صوت سمع في لرامة – فرح وبكاء وعويل كثير ، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزّى ، لأنهم ليسوا بموجودين ... فلما مات هيرودوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً : قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل . ولكن لما سمع أنّ أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودوس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك ، وإذ أوحى إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل ، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة ، لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريًّا » (مت : ٣) .

وهيرودوس الملك هو صاحب المأساة الدامية مع يوحنا المعمدان ...

«في السنة الخامسة عشرة من سلطة طيباريوس قيصر : إذ كان بيلاطس النبطي والياً على اليهودية ، وهيرودوس رئيس ربع على الجليل ، وفليبس أخوه رئيس ربع على إيطوريه وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس رئيس ربع على الأبلّية – في أيام رئيس الكهنة حنان وقياقا ، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرّية ... أما هيرودوس رئيس الربع ، فإذ توبّخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ، ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودوس يفعلها زاد هذا أيضاً على الجميع أنه حبس يوحنا في السجن» (لو١ : ٥، ٣ : ١، ١٩-٢٠) «لأن هيرودوس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه إذ كان قد تزّوج بها ، لأنّ يوحنا كان يقول لهيرودوس : لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك ؛ فحنقت هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر ، لأنّ هيرودوس كان يهاب يوحنا عالـمًا أنّه رجل بار وقديس وكان يحفظه ، وإذا سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور . وإذ كان يوم موافق لما صنع هيرودوس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل ،

دخلت ابنة هيروديا ورقصت فسرّت هيرودوس والمتكّئين معه . فقال الملك للصبيّة : مهما أردت اطلبي مني فأعطيك ، وأقسم لها أن مهما طلبت مني لأعطّينك حتى نصف مملكتي ، فخرجت وقالت لأمها : ماذا أطلب ؟ فقالت : رأس يوحنا المعمدان ! فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك ، وطلبت قائلة : أريد أن تعطيني حالاً رأس يوحنا المعمدان على طبق ، فحزن الملك جدًّا ، ولأجل الأقسام والمتكئّين لم يُرد أن يردّها . فللوقت أرسل الملك سيّافاً وأمر أن يُؤتى برأسه على طبق ، وأعطاه للصبيّة ، والصبيّة أعطته لأمها » (مر ٦ : ١٧-٢٩ ، مت ١٤ : ٣-١١) .

هذا هو هيرودوس الذي قُدِّر له أن يُخَضِّب يديه من دماء هذا البشير النذير يوحنا ... ثم قُدِّر له أن يشهد بعثة المسيح أيضاً: «فسمع هيرودوس الملك لأن اسمه صار مشهوراً ، وقال : إن يوحنا المعمدان قام من الأموات ، ولذلك تُعمل به القوّات . قال آخرون : إنه إيليا ، وقال آخرون : إنّه نبيّ أو كأحد الأنبياء ، ولكن لما سمع هيرودوس قال : هذا هو يوحنا الذي قطعت أنا رأسه ، إنه قام من الأموات!!» (مر ٦ : ١٤ - ١٦ ، مت ١٤ : ١-٢) .

«كان هيرودوس يعيش في قصره الجديد بين أشباح الماضي ، يرتجف فرقاً على عرشه ، فهو يعلم أنه ارتقى العرش اغتصاباً ...

كان حفيد خادم في هيكل أشقلون ، واغتصب الملك بمعاونة قياصرة الرومان المغامرين ، وجاءه اليهود وأخبروه أنّهم لا يقبلونه ملكاً عليهم ، فما كانوا يُمَلِّكُون عليهم إلا رجلاً من بني إسرائيل ، فأزهق أرواحهم - حتى لا ترتفع اعتراضاتهم الوقحة !!

كان الخوف من أن يهوى عرشه يقلقه ويثير ضراوته ، فإذا طاف به طائف من شكّ برزت وحشيته .. أمر بقتل المرأة الوحيدة التي خفق قلبه بحبها ، وسفك دماء الفريسيين لأنهم تنبّأوا بزوال ملكه ، وقتل بعض أولاده ليقضي على وساوسه فقد

حامت حولهم شكوكه وظنّ أنهم يتآمرون على ملكه ... طالما ذبح كهنة ونبلاء ، وطالما انتزع الاعترافات ممّن يظنهم أعداء ... ».

هكذا يصوّر الأستاذ السحار هيرودوس ، أما الأستاذ العقاد فيقول عنه إنه :

«زعيم مشهور بالحصافة والحزم على رأس قبائل الأدوميين ، عرف بفراسته وبعد نظره أن الكفة الراجحة في النزاع على فلسطين لدولة الرومان ، فانضوى إليها واستبسل في معونتها ، فكافأته على خدمته بتنصيبه ملكاً على اليهودية والسامرة والجليل – حيث ولد السيد المسيح ، وكافأهم هو بالتمادي في محاكاة المدنية الرومانية ، وأوحت إليه حصافته أن يداهن السلطة الدينية ويداهن السلطة الدنيوية في وقت واحد ... ومع هذا الجهد المضني مات هيرودوس وهو مغضوب عليه أشد الغضب بين أبناء دينه ، وحدث قبيل وفاته أنّ طائفة من الغلاة ثارت على مبانيه وأنصابه لتمسح منها معالم الوثنية ، فعقد لهم محكمة علنية وأمر بأجناده فحملوه إلى المحكمة حيث قضى عليهم بالحرق وهم أحياء !! وقبض على الزعماء المحبوبين فحبسهم وأوصى أخته أن تقتلهم إذا مات قبل إعلان وفاته ، لتذهب حسرة الشعب عليهم بفرح الشماتة فيه... ».

وتمتّ البلية بتقسيم البلاد بين أبناء هيرودوس الثلاثة ، وتنافس الأخوان أرخيلاوس وهيرودوس أتيباس ، وقد وقعت الجليل في حصّة الأخير – وفيها ولد السيد المسيح «وكان هيرودوس أنتيباس كأبيه وغيره من أفراد أسرته ذا وجهين ، فهو يهودي في وطنه وهلنستي خارجه »– على حدّ تعبير الدكتور حتى Hitti . وبعد خلع أرخيلاوس سنة ٦م جُعلت أرض اليهودية تحت الحكم المباشر لوال روماني ... «وأقرّ القيصر الأبناء الثلاثة في ولاياتهم ، وخرجت البلاد ممزّقة بين أبناء هيرودوس وحكومات النبطيين والمدن العشر ، وقصدت روما بهذا التمزيق أن تخيف ولاية بولاية ، وتلجئهم إلى التنافس بينهم في مرضاتها ، وتتخذّهم جميعاً درعاً تدفع به غارات الصحراء وهياج المتعصّبين ».

وقد واجه يوحنا المعمدان في شجاعة وقوة طغيان هيرودوس .. فكان خير تقدمة بين يدي المسيح : «لقد أثارها حملة شعواء على بؤرة الفساد في زمنه ... وهو بلاط الملك هيرودوس ، فإنها البؤرة التي استبيح فيها الفجور بالمحارم والبناء بهم على غير شريعة ، وقتل الإخوة والأبناء ، وتدنيس العبادة والقداسة بالبذخ والجسارة على المنكرات ، فكانت جسارة النبي على التطهير كفئا لجسارة الطاغية الأثيم على الدنس والخيانة ... وخرج الرسول من الميدان شهيدا يجرّ ورائه جثة ميت بقيد الحياة ، فإنّ جسد هيرودوس قد أكله الدود قبل دفنه ، وإن عهده قد وصف نفسه أصدق صفاته حين بذل رأس النبي هدية لراقصة مبذولة الجسد !!!

**ولا جرم أن يكون عصر يحيى المغتسل (يوحنا المعمدان) عصر رسالة عاجلة ، أو عصر ارتياد وتمهيد . هجمة من هنا وهجمة من هناك ، ثم تبدأ المعركة حتى تستوفي** الميدان كله ولا تنحسم بين صباح ومساء» [1] .

تلك هي دولة الرومان ، وهذا حكمها في الأرض المقدّسة من ديار الشام .. لايفوتنا في خاتمة القول أن نؤكد تدلّل اليهود على حكّامهم ، وحرص الرومان على استرضائهم ، عندما كانت ظروف الدولة تملي عليهم ذلك . ومن هنا ألحّ اليهود على الرومان ، يستعدونهم ضد المسيح والمسيحية ، تشهد بهذا محاكمة المسيح ، ثم محاكمة بولس من بعده ... «ولكن لما كملت سنتان قبل فيلكس بوركيوس فستوس خليفة له ، وإذ كان فيلكس يريد أن **يودع اليهود منّةً** - ترك بولس مقيّداً .. فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود ضد بولس ، والتمسوا منه طالبين عليه مِنَّة أن يستحضره إلى أورشليم ، وهم صانعون كميناً ليقتلوه في الطريق .. ولكن فستوس

---

١ - السحار : المسيح عيسى ابن مريم ص٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٥ ، حتى : تاريخ سوريا جـ١ ترجمة حداد ورافق ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، العقاد : عبقرية المسيح ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ .

إذ كان يريد أن **يودع اليهود منّةً** - أجاب بولس قائلاً : أتشاء أن تصعد إلى أورشليم لتحاكم هناك لديّ من جهة هذه الأمور؟ » (أعمال ٢٤ : ٢٧ ، ٢٥ : ٢-٣ ، ٩) .

ويح يهود ، إنها تقف في وجه من يريد أن يخرج بها من ضيق الأنانية القبلّية إلى سعة الإنسانية العالمية ، ويفتح لها رحاب التاريخ ..

ويح يهود ، ذكّرتني بقريش ، التي قال عنها رسول الإسلام حين اعترضت طريقه وهو يسعى على الطواف بالكعبة في عمرة الحديبية : «يا ويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ! ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين!! ».

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات : ٥٢ - ٥٥] .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية : ١٦ - ١٧] .

## رسول:

المسيح رسول عند المسلمين وعند المسيحيين ، أرسله الله ليبلّغ رسالة بعينها .. مهما كان الخلاف في صدد قضية اللاهوت والناسوت .

«ومن قبلني فليس يقبلني أنا ، بل الذي **أرسلني** » (مر ٩ : ٣٧) . «تعليمي ليس لي ، بل للذي **أرسلني** . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم : هل هو من

الله ، أم أتكلم أنا من نفسي . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي **أرسله** فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو ٧ : ١٦-١٨) .

«أنا معكم زمناً يسيراً بعد ، ثم أمضي إلى الذي **أرسلني**» (يو ٧ : ٣٣) . «وإن كنت أنا أدين فدينونتي حق لأنّي لست وحدي ، بل أنا والآب الذي **أرسلني**» (يو ٨ : ١٦) .

«فأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك **أرسلتني**- (يو ١١ : ٤٢) . «فنادى يسوع وقال : الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي ، بل بالذي **أرسلني** ، والذي يراني يرى الذي **أرسلني**» (يو ١٢ : ٤٤-٤٥) .

والمسيحيون يفسّرون مثل هذه النصوص تفسيراً يتلائم مع عقيدتهم في تأليه المسيح ، فيقول الأب لويس برسوم الفرنسسكاني «... يطلب يسوع هنا أن يؤمن الجميع به كإله : له والآب الأزلي طبيعة إلهية واحدة مشتركة ، بحيث إنّ كل من آمن به فقد آمن في الوقت نفسه بالآب الذي أرسله ، وهما معاً واحد بالذات ، الأمر الذي يتضح لنا بأعلى بيان في الجزء الأخير من الآية المذكورة حيث يقول : (ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني) - معلناً بذلك أنه صورة الآب الذي أرسله وصورة جوهرية ، حتى إن كل من رآه فقد رأى الآب . إذن فهو إله من إله ، ونور من نور». بل إنّ المسيح يقول : «وهذه هي الحياة **الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد ، والذي أرسلته يسوع المسيح**» ومع ذلك يستطرد الأب لويس فيقول : «قال القديس أغسطينوس ، ومن بعده القديس توما الأكويني ردًّا على استنتاج الأريوسيين الباطل : ألا وهو أنّ الآب وحده دون الابن والروح القدس هو الإله الحقيقي بحصر المعنى - بأن حرف العطف في الآية يجمع المسيح والآب على صعيد واحد هو صعيد اللاهوت ولا شك ، بحيث إنّ المعنى لا يستقيم إلا إذا فهمناه على

هذا النحو : وهو أنّ الآب والمسيح مرسله - والمسيح من حيث لاهوته - هما مع الروح القدس الإله الحقيقي الوحيد »[1] .

ولقد أثارت شخصية هذا الرسول الكريم - كما قدَّمنا - كثيراً من الجدل عند المحدثين ، فالأستاذ ريماروس Herman Reimarus أستاذ اللغات الشرقية ترك مخطوطاً ضخماً بعد وفاته سنة ١٧٦٨م - نشر أجزاء منه لسنج Gotthold Lessing ، ومما جاء فيه : إنّ يسوع لايمكن أن يُعَدَّ مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم ، بل يجب أن يفهم على أنّه (الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب) !!

ويشير هردر سنة ١٧٩٦م إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لايمكن التوفيق بينها !!

وعرض بولس Heinrich Paulus تفسيراً عقليًّا للمعجزات عزاها لعلل وقوى طبيعية (١٨٢٨م) . لكن شتراوس David Strauss حوالي (١٨٣٥ - ١٨٣٦م) رفض هذه المحاولة ، وقرّر أنّ الروايات التي تتضمّن خوارق للطبيعة أساطير خرافية ، وينبغي إعادة كتابة حياة المسيح متحرّرة من هذه الأساطير !!.

وفي نفس الوقت هاجم بور Ferdinand Christian Bour رسائل بولس ، وقال إنها مدسوسة عليه - عدَا رسائل غلاطية وكورنثوس ورومية !! .

وهكذا تبارى المنكرون في الإنكار على تباين في الأسلوب ودرجته ، حتى قرّر Bruns Bauer سنة ١٨٤٠م أن : يسوع لا يعدو أسطورة أو تجسيداً للطقوس في القرن الثاني!! وأنكرت المدرسة الهولندية حقيقة المسيح التاريخية بعد بحوث مضنية ، كان ممن قاموا بها Pierson, Naber, Matrhas ، وفي إنجلترا وصل لنفس النتيجة W. B. Smlth, J. M. Robertson . أما ألمانيا فقد عرض فيها Arrhur Drews سنة

---

١ - لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج٢ ص ١١١ ، ١٨٢ .

١٩٠٦م النتيجة السالفة محددة ، وكان Ernest Renan قد أورد نتائج النقد الألماني وعرض مشكلة الأناجيل في كتابه (حياة يسوع) سنة ١٨٦٣م . ومثّل Loisy مدرسة أواخر القرن التاسع عشر الفلسفية إذ حلّل نصوص العهد الجديد تحليلاً أدى إلى صدور قرار بحرمانه !!

هذا أحد الوجهين في قضية المسيح ...

والوجه الآخر يمثّل جانب الإثبات ، وأقدم إشارة تعزّز هذا الرأي ما أورده المؤرخ **يوسيفوس** (٩٣م) : «في ذلك الوقت كان يعيش يسوع ، من رجال الدين - إذا جاز أن نسميه رجلاً ، لأنّه يأتي بأعمال عجيبة ويعلّم الناس ، ويتلقّى الحقيقة وهو مغتبط ، واتّبعه كثيرون من اليهود واليونان . لقد كان هو المسيح! ».. وتكتنف هذه الإشارة شكوك متزاحمة سيما وهي صادرة من يهودي ، يُستغرب منه أن يخص المسيح بهذا الاعتراف الصريح والثناء الجميل !! .

وأرسل **بلني الأصغر** Pilnius سنة ١١٠ م خطابه إلى الإمبراطور تراجان يستشيره في معاملة المسيحيين ، وبعد ذلك بسنين أورد تاستوس Tacitus وصفاً لاضطهاد نيرون لمن أسماهم Christiani في قطعة ينال منها الشك ، وإن كانت أقرب لأسلوب هذا المؤرّخ القديم .

وفي سنة ١٢٥م ينقل سوتونيوس Suetonius خبر الاضطهاد نفسه ، كذلك نفى كلوديوس سنة ٥٢م لجماعة (اليهود الذين أثاروا إضرابات عامة بتحريض المسيح Impulsore Chresto) ، وتتفق إشارته مع ما ورد في (أعمال الرسل) .

ولربّما يقال : تلك أدلة على وجود المسيحية لا المسيح .. «ولكنّنا إذا لم نسلم بوجود المسيح فلا مناص من الفرض الضعيف جدًّا ، وهو أن شخصية المسيح اخترعت في جيل واحد !! »...

ولابدّ أنّ الطائفة المسيحية وجدت قبل سنة ٥٢ م ببضع سنين ، وإلا لما كان هناك مدعاة لصدور مرسوم من أجلها .

ويروي يوليوس أفريكانوس Africanns عن الكاتب الوثني Thallus الذي عاش في منتصف القرن الأول : أنّ الظلمة التي خيّمت وقت موت المسيح كانت محض ظاهرة طبيعية «فنكران ذلك الوجود لم يخطر على ما يظهر لأشد المخالفين لليهودية ، أو اليهود المعارضين للمسيحية الناشئة في ذلك الوقت ».

وأبرز الأدلة المسيحية على وجود المسيح كتابات بولس - ومنها رسائل تؤرّخ سنة ٦٤م - ولم يشكّ أحد في وجود بولس نفسه ، أو لقائه لبطرس ويعقوب ويوحنا ، ويعترف بولس بمعرفة هؤلاء للمسيح ويحسدهم على ذلك ، ويشير لقصة العشاء الأخير والصلب [١] .

«وكلّ ما يُفهم من سكوت المؤرخين المعاصرين على سبيل الجزم ، أنّ المؤرخين لم يدركوا خطرها ولم يميّزوها عن الحركات المتفرّقة التي كانت تختلج بها طوائف اليهود على صفة عامة ... ويبدو لنا أنّ نشوة العلم الجديد : علم المقابلة بين الأديان ، هي التي دفعت أصحابها في القرن الثامن عشر إلى تحميل المشابهات والمقارنات - بين القصص المروّية عن السيد المسيح والقصص المرويّة عن الأرباب في العبادات الشرقية القديمة ، ومنها القول بأن أخبار المسيح بقية من الديانات الشمسية القديمة يدل عليها عدد اثنى عشر الذي يشير إلى البروج وإلى عدد التلاميذ - تحميلها فوق طاقتها ... وينبغي أن نذكر أن المسيحية وُجدت قبل أن تقترن بها تلك المراسم والتقاليد » [٢] .

---

١ - ديورانت : قصة الحضارة ج٣ م٣ (قيصر والمسيح) - ترجمة بدران ص ٢٠٢ - ٢٠٦.
٢ - العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) - ص ٨٤ - ٨٦.

فإذا انتهينا من ذلك إلى وجود المسيح تاريخيًّا وقيامه برسالته ، فإنّ هذه الرسالة قد استمرّت بعد رفعه .. فقد واصل رسل المسيح المهمة ، وبشّروا بالرسالة ، ومارسوا : «طقوساً ثلاثة : المعمودية ، ووضع الأيدي ، والشركة . فكان على كل مستجدّ يقبل الدعوة أن يتعمّد باسم يسوع المسيح ، وأن يبارك بوضع الأيدي ، وأن يمارس الشركة وكسر الخبز ».. وقد تحوّل بولس إلى المسيحية هذا التحوّل المثير الذي أشار إليه في كلامه ، وبدأ عمله التبشيري بين يهود دمشق ، فلما شغبوا عليه قضى ثلاث سنوات في البادية يتأمّل ويبشّر العرب ، ثم عاد إلى أورشليم . وعاد الشغب فابتعد هو إلى أنطاكية ، وقام برحلة تبشيرية مع برنابا إلى قبرص وآسيا الصغرى (٤٥ : ٤٧م) ثم عادا . وقام بولس بعدئذ برحلتين تبشيريتين : شملت واحدة (٥٠ : ٥٢م) غلاطية وفيليبي وتسالونيكية وأثينة وكورنثوس وإفسوس وأنطاكية ، وشملت الأخرى (٥٣ : ٥٨م) إفسوس وكورنثوس وبعض جزر الأرخبيل اليوناني وصور وعكة وقيصرية فلسطين فالقدس . ولما عاد إلى أورشليم ثارت ثائرة اليهود ، ويُرجّح أنه قضى شهيداً سنة ٦٤م مع بطرس وغيره من ضحايا نيرون ، ويعتقد البعض أنه عاش حتى سنة ٦٦م.

وكما انتقى المسيح الرسل الاثنى عشر وألحق بهم التلاميذ الاثنين والسبعين ، كان بولس في رحلاته التبشيرية ينتقي لكل كنيسة يؤسسها شمامسة لخدمتها ومجلس كهنة لإدارتها وقيّما أعلى يمثّله ويبقى على صلته بهذه الكنائس جميعها ويوجّهها . ثم تعدّدت الكنائس فتكتّلت في كل ولاية حول كنيسة عاصمتها ، «ولا يختلف اثنان فيما نعلم أن المسيحيين الأوّلين كانوا مثال التقوى والصلاح ، وأنّ الإيمان بالمسيح وبقرب عودته ليدين الأحياء والأموات كان أعمق أثراً في نفوس أهل ذلك العصر من الإيمان بالآلهة القديمة ، وأنّ الرسل بلغوا النجاح حيث أخفق كبار الفلاسفة . ومما يجدر ذكره أنّ الآباء المؤسسين حرّموا الإجهاض وقتل الأطفال ، ولـمُّوا اللقطاء وعمّدوهم وربّوهم على نفقة الكنيسة ، وحضُّوا المؤمنين على العفّة والبتولية

وأساغوا الزواج لمن خشى العنت .. ومما يثبت استقامة المسيحيين الأوّلين وصلاحهم شهادات الوثنيين أنفسهم مثل بلينيوس الأصغر وغاليانوس العالم . وأدّى الشعور بينهم بالخطيئة وبقرب انتهاء العالم ومجيء الديّان إلى رغبة في الطهارة وإلى اجتناب كل لذّة من لذات الجسد »[1] .

ويرى مؤرّخ الحضارة ديورانت أنّه من الصعب اعتبار شخصيات رسل المسيح «من طراز الذين يختارون ليبدّلوا أحوال العالم »! ويذكر أنّ الأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعي ، وتكشف عن عيوبهم كشفاً صريحاً !! فبطرس شخصية لحما ودما ، فهو متهور جاد كريم غيور هيّاب – يصل به الوجل أحياناً إلى الجبن! وكان هو وأندرو يصيدان السمك في بحيرة الجليل ، وكذلك ولدا زبدي Zebedee يعقوب ويوحنا ، وانتقل الأربعة بأعمالهم وأسرهم وأصبحوا لصيقين المسيح . أما متّى فهو جابٍ للضرائب في كبرنوم على الحدود «يخدم روما ، ومكروه من كل يهودي يتوق للحرية »!! ويهوذا الكريوثي وحده هو الذي لم يأت من الجليل ، وقد جمع الاثنى عشر من تلاميذ المسيح كلّ ممتلكاتهم وعهدوا بها ليهوذا ، ليتوّلاها نائباً عنهم . وكانوا في طوافهم مع المسيح في الرحلات التبشيرية يعيشون على ما يقدّمه القرويون من هدايا وضيافات . وأضاف المسيح إلى هؤلاء اثنين وسبعين من الأتباع ، وانضمّت إليهم بعض النساء الصالحات يقدّمن المعونة في الأعمال المنزلية التي لابدّ منها «وعلى يد هذه الجماعة الصغيرة ، البسيطة ، غير المتعلمة ، أرسل المسيح إنجيله إلى العالم »[2] !!

ويلفت النظر أنّ عدد تلاميذ المسيح الأولين كان اثنى عشر ، وعدد أتباعه بعدهم كان اثنين وسبعين ... فالرقمان لهما في تاريخ الأديان السماوية مصادفات وموافقات ...

---

١ – دكتور أسد رستم : الروم ج١ ص ٢٤، ٢٥ ، ٢٨ – ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ .
٢ – ديورانت : قصة الحضارة ج٣ م٣ (قيصر والمسيح) ترجمة بدران – ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

فالأسباط أبناء يعقوب اثنا عشر «فأجاب بطرس حينئذ وقال له : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إنّكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (مت ١٩ : ٢٧-٢٨) . والرقم ذاته وارد في القرآن ، ففي سورة الأعراف ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف : ١٦٠] ، وفي سورة المائدة ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة : ١٢] ، ونقرأ في سورة الأعراف كذلك ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

وفي سيرة رسول الإسلام كذلك وردت هذه الأرقام ، ففي بيعة العقبة الثانية بايع على الإسلام من الأنصار اثنا عشر : «فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر – منهم تسعة من الخزرج ... وثلاثة من الأوس »، «ثم كانت بيعة العقبة ثانياً ، وقد وافى الموسم خلق من الأنصار ما بين مشرك ومسلم ، فتسلّل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ... وأقام صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيباً» [1] .

---

١ – المقريزي : إمتاع الأسماع (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ص ٣٣ – ٣٧.

حدّث المسيح ولم يدوّن ...

وآثر المسيحيون الأوّلون السماع على القراءة ...

لكنّ المؤمنين تفرّقوا ، واليونانيين وغيرهم ممن دخل في الدين الجديد لم يكونوا يفهمون الآرامية ...

فكان لابّد من التدوين .. ومن هنا جاءتنا الأناجيل الأربعة .

**ومتّى**: عشّار يهودي تبع المسيح وأصبح أحد الرسل الاثنى عشر ، ويستدل من أقوال بعض الآباء أنّ متّى تولّى تبشير اليهود فكتب إنجيله لهم بالآرمية ، بينما كان بطرس وبولس يعملان في روما ( ٥٠ : ٥٥م) ، وفي تضاعيف الإنجيل ما يعزز أنه كتب لليهود - مثل إسناد نسب المسيح إلى داود وإيصال سيرة السيد بنبوءات التوراة ، وقد ضاع الأصل الآرامي وبقيت الترجمة اليونانية .

وكان بطرس يجهل اليونانية ولا يعرف سوى الآرامية ، فلما ذهب إلى روما استدعى يوحنا الذي كان يدعى **مرقس** ليترجم بينه وبين سكان روما ، وكان مرقس من يهود قبرص يتكلّم اليونانية ويقرأ ويكتب فالتحق ببرنابا وبولس ، وبعد وفاة الأول انتقل إلى روما ودوّن سيرة المسيح بطلب من أهل روما بين عامي ٥٥م ، ٦٠م كما سمعها من فم بطرس ، دون تسلسل بل وفقاً لاحتياجات القول ودواعيه .

وفي سنة ٦٤م شعر دعاة المسيحية بالحاجة إلى «سيرة مرتبة منظمة ، مكتوبة بلغة واضحة مضبوطة ، وبأسلوب رائق جذاب ، يستهوي العقول ، ويُنشّط الهمم»... وهنا جاء دور **لوقا** الطبيب الذي اطلع وسمع ، ورافق بولس في رحلاته ، «فجاء إنجيله تاريخاً رسميًّا وأثراً أدبيًّا » وظهر هذا الإنجيل بين عامي ٦٤م ، ٧٠م ، «ومن هنا جاء القول بأن **إنجيل لوقا هو إنجيل بولس** ، ويرى رجال الاختصاص علاقة وثيقة بين هذا الإنجيل وبين سفر أعمال الرسل من حيث جوهر الرسالة واللغة

والأسلوب ، فينسبون الأخير إلى لوقا أيضاً». وهكذا لم ينقل إنجيلا مرقس ولوقا عن المسيح مباشرة ، بل الأول نقل عن بطرس والآخر عن بولس .

ويجمع علماء الكنيسة أرثذوكسيين وكاثوليك على أنّ الإنجيل الرابع هو **ليوحنا** الحبيب ، «ويرون في دقة المعلومات الجغرافية التي وردت فيه عن القدس وفلسطين ، كما يرون في شدّة العاطفة التي تضمّنها نحو شخص السيد ما يؤيد التقليد الموروث أن كاتب هذا الإنجيل وسفر الرؤيا هو يوحنا الحبيب نفسه »[1].

هذه هي الأناجيل الأربعة المتداولة .. ومعنى الإنجيل Gospel - وفي الإنجليزية القديمة Godspel - (أخبار طيبة) ، واللفظ ترجمة للفظ اليوناني Evangelion الذي يبدأ به إنجيل مرقس (أخبار سارة) ، وهي أن المسيح قد جاء وملكوت الله قد غدا قريب المنال .

وأقدم النسخ ترجع للقرن الثالث الميلادي ، وترجع النسخ الأصلية إلى ما بين عامي ٦٠ ، ١٢٠م . وكان الكتاب قبل نهاية القرن الأول الميلادي ينقلون عن العهد القديم لا الجديد ، ولا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل سنة ١٥٠م إلا عند Papias الذي كتب سنة ١٣٥م يقول «يوحنا الأكبر (؟) قال إنّ مرقس ألّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس ... ويضيف : وأعاد متّى كتابة الكلمات بالعبرية ». وقد كشف Hunt, Grenfell في خرائب مدينة قديمة بمصر سنة ١٨٩٧م ، ١٩٠٣م عشرين قطعة من كلمات تتفق إلى حدٍّ ما مع فقرات مماثلة في الأناجيل ، ولا ترجع البرديات إلى ما قبل القرن الثالث ، وقد تكون نسخاً من مخطوطات أقدم منها .

والرواية المأخوذ بها أنّ **إنجيل متّى أقدم الأناجيل** - وإن كان هناك من النقاد والمؤرخين من يرى الأسبقية لإنجيل مرقس ، ومن النّقاد من يرجع الأوّل لتابعٍ

---

١ - دكتور أسد رستم : الروم ج١ ص ٤٠-٤٢.

لمتى وليس للعشّار نفسه ، ورواية المعجزات فيه أكثر . و يرى ديورانت أنّ هذا الإنجيل وإن أحاط به بعض الشك «لكنّه أشدّ الأناجيل الأربعة تأثيراً في النفس وإثارة للعاطفة ، ولايسعنا إلا أن نعدّه بين روائع الآداب العالمية ، وإن لم يدرك ذلك كاتبه القديم».

والبحث المقارن في الأناجيل يقرّر أن ٦٠٠ آية مشتركة بين متّى ومرقس ، من بين آيات إنجيل مرقس التي لاتزيد عن ٦٦١ عدًّا . ومن إنجيل مرقس كذلك ٣٥٠ آية تكاد توجد بنصها في إنجيل لوقا . أما الفقرات المشتركة بين متّى ولوقا فهي إمّا أن تدل على أن لوقا أخذها عن متّى ، أو تدل على أنّ الاثنين أخذاها عن أصل مشترك لم يعثر عليه . ويشهد ديورانت «بمهارة أدبية للوقا ، تحمل على الظن بأنّ الإنجيل أجمل ما أُلِّفَ من الكتب ».

«وأناجيل متّى ومرقس ولوقا يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة ، ذلك أنّ محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها في أعمدة متوازية والنظر إليها كلها مجتمعة ، وقد كتبت كلها باليونانية الدارجة ، ولم تكن نماذج طيبة في النحو أو الصقل الأدبي ، بيد أنّ ما في أسلوبها السهل من قوة وإيصال للمعاني عن أقرب طريق ، وما في تشبيهاتها والصور التي ترسمها من وضوح ، وما في الإحساسات التي تصوّرها من عمق ، وما في القصص التي تحويها من روعة - كل هذا يكسبها حتى في صورتها الأصلية الفجّة جمالاً فذًّا ». !!

أما الإنجيل الرابع فليس ترجمة ليسوع بقدر ما هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، وهو الإنجيل الذي تضمّنت نصوصه ذكراً صريحاً لألوهية المسيح .

«وملاك القول أن ثمّة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر ، وأن فيها نقاطاً تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة

والشبيهة بما يروى عن آلهة وثنيين ، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من نبوءات العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما قصد منها تقديم أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها ...

لقد كان المبشّرون بالإنجيل يرون - كما يرى شيشرون وسالست وتاستوس - أنّ التاريخ وسيلة لنشر المبادئ الخلقية السامية ، ويبدو أنّ نقل الأناجيل للأحاديث والخطب معرَّض لما في ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولأخطاء النساخ ، (أو تصحيحهم) !!

فإذا سلّمنا بهذا كله بقى الشيء الكثير ...

**إن تناقض الأناجيل لا يتعدّى التفاصيل الجزئية إلى الحقائق العامة ،** والثلاثة الأولى تتفق اتفاقاً عجيباً وتعرض في مجموعها صورة مُنسّقة للمسيح ، ولقد دفعت حماسة الكشف كبار الناقدين إلى أن يقيسوا صحة أقوال العهد الجديد بمقاييس لو طُبِّقت على مئات من العظماء الأقدمين أمثال حمورابي وداود وسقراط لزالوا من عالم الحقائق وهووا إلى عالم الخرافات !! **والمبشّرون بالإنجيل - رغم التحيّز والميل والأفكار الدينية السابقة - يُسجّلون كثيراً من الحادثات كان يخفيها الملفّقون** : كتنافس الرسل على المنازل العليا في ملكوت الله ، وفرارهم بعد قبض يسوع ، وعجز المسيح عن الإتيان بالمعجزات في الجليل ، وإشارة بعض من سمعوه إلى احتمال جنونه ، وتشككه الأوّل في رسالته ، واعترافه بجهل أمر المستقبل ، ولحظات حقده على أعدائه ، وصيحة يأسه على الصليب !! .. من يطّلع على هذا لا يشك في أنّ وراءها شخصية تاريخية حقة .

**ولو أن عدداً قليلاً من الرجال السذّج قد اخترعوا في مدى جيل واحد هذه الشخصية الجذابة ، وهذه المبادئ الأخلاقية السامية ، وهذه النظرية الأخوية الملهمة - لكان عملهم هذا معجزة أبعد عن المعقول من أيّة معجزة تسجلها الأناجيل !!.**

والخطوط الرئيسية في سيرة المسيح وأخلاقه وتعاليمه تبقى بعد قرنين من النقد الشديد واضحة معقولة ، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ القرنين وأكثرها فتنة للألباب »[1].

هذا هو رأي مؤرخ الحضارة الأستاذ ديورانت ، وقد ألمعنا في التقديم إلى رأي الأستاذ العقاد وهو أديب مسلم وباحث أوتي مقدرة ممتازة على الاستيعاب والتحليل ، وله مؤلفات عدة انتصر فيها للتديّن عموماً وقدم دراسات تحليلية لشخصيات الأنبياء : إبراهيم وعيسى ومحمد ، وكثير من صحابة رسول الإسلام . ونضيف إلى ما ذكرنا من أقواله في هذا الصدد قوله : «وتسقط دعوى الناقدين - المشكّكين حتى في المسيح نفسه - بمجرد الإحاطة بأصول المذاهب التي كانت معروفة في عصر الميلاد ، لأن **الدعوة المسيحية كانت تعديلاً لكل مذهب من هذه المذاهب في ناحية من نواحيه ، وكانت هذه التعديلات في جملتها تثوب إلى وحدة متماسكة من القواعد والمثل العليا - لابد لها من (شخصية) مستقلة عن هذه المذاهب جميعاً ، قادرة على عرض شعائرها وعقائدها على محكّ واحد متناسق الفكر والإيمان** ... أما رأينا نحن في إمكان المعجزات فهو رأينا في إمكان جميع الأسباب ، فإنّ العقل قاصر عن تعليل الحوادث بأسبابها ، وليس من العقل أن يقال إنّ هذه الأسباب المسماة بالطبيعية هي العوامل الفعالة في إيجاد الأسباب ، وأصحّ ما يقال فيها قول الغزالي : إنّ الأسباب والمسبّبات تحدث معاً ، ولا تزيد علاقتها بعضها ببعض على علاقة المصاحبة والتوافق في الأوقات ، وإلا لزم أن تكون المادة ألوفاً من المادات كلٌّ منها مستقل بخصائصه ومؤثراته وعلاقته بالمواد الأخرى - ولا يقول بذلك عقل سليم . فإذا كان العقل لا يعقل الأسباب الطبيعية ، فمن الشطط أن يتعجّل بإنكار المعجزات والجزم باستحالتها ...

---

١ - ديورانت : قصة الحضارة ج٣ م٣ (قيصر والمسيح) - ترجمة بدران ص٢٠٦ - ٢١١.

وبعد ، فمن الحق أن نقول : **إن معجزة المسيح الكبرى هي هذه المعجزة التاريخية التي بقيت على الزمن ولم تنقض بانقضاء أيامها في عصر الميلاد : رجل ينشأ في بيت نجّار في قرية خاملة بين شعب مقهور ، يفتح بالكلمة دولاً تضيع في أطوائها دولة الرومان** ، ولاينقضي عليه من الزمن في إنجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضمّ إقليم واحد ، وقد يخضع إلى حين ثم يتمرّد ويخلع النير ، ولا يخضع كما خضع الناس للكلمة بالقلوب والأجسام »[1] ...

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝﴾ [آل عمران : ٤٨ - ٥٣] .

---

١ - العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) ص ٢١ ، ١٩٦ ، ١٩٧.